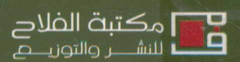
د. سامي أبو زيد
د. عبد الرؤوف زهدي

البلاغة العربية

علم المعاني

2






2
البلاغة العربية
علم المعاني

الطبعة الأولى

1429 هـ 2008 م



دولة الكويت

حولي-شارع بيروت - عمارة الأطباء

هاتف: 1985 264 فاكس: 7784 264 965+

ص.ب: 4848 الصفاة-الرمز البريدي 13049

دولة الإمارات العربية المتحدة

العين:- ص.ب 16431 هاتف: 7662189 فاكس: 7657901 3 971+

دبي:- ص.ب: 20438 هاتف: 2630618 فاكس: 2630628 4 971+

جمهورية مصر العربية

37 شارع النصر - امتداد رمسيس2

مقابل وزارة المالية ومصلحة الجمارك

مدينة نصر - القاهرة

تلفاكس 8143 262 202+

E-mail: alfalah_egypt@ hotmail.com

المملكة الأردنية الهاشمية



دار حنين للنشر والتوزيع

العبدلي- مقابل البنك العربي- عمارة الددو

هاتف 5695611 فاكس 1208 568 6 962+

ص.ب 927385 الرمز البريدي 11190

عمان - الأردن

e-mail: dar_honin@yahoo.com



البلاغة العربية 2

علم المعاني

تأليف

د. سامي أبو زيد
جامعة الإسراء الخاصة

د. عبد الرؤوف زهدي
جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا







إهـــــــداء

إلى الأخ الدكتور محمد سمير اللبدي ...

يا مَنْ يتعلَّم الشعر منك كيف يكون أعمق وأصدق؛ ويا مَنْ ملأت دنيانا حُبّاً وعشقاً، بكلماتك وأشعارك التي حَنَّتْ إليها ساعات أحلامنا، وظمئت إليها كؤوس أيامنا؛ ويا مَن خدمت لغة الضاد في الأردن والسعودية والكويت، نهدي إليك هذا الكتاب الذي طالما تغنَّيت بفنونه وأفنانه؛ تحية تقدير لكريم صفاتك ونُبل أخلاقك.

المحتويـــات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي "خلق الإنسان" و"علّمه البيان". والصلاة والسلام على سيد المرسلين، أفصح الخلق لسانا، وأوفاهم بالمعاني الحِسان.

وبعد، فهذا هو كتابنا الثاني في البلاغة العربية، نضعه بين أيدي الطلبة في الجامعات والمعاهد والكليات؛ ليفيدوا من فنون المعاني في تهذيب طباعهم، والارتقاء بلغتهم. وهي فنون أودعها القدماء في كتبهم جيلاً بعد جيل.

وقد تناولنا في هذا الكتاب علم المعاني، في ثلاث عشرة وحدة، تدور حول الكلام بين الخبر والإنشاء، وأحوال المسند والمسند إليه، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة. وقد ختمناها بحديث عن البلاغة والأسلوبية، يهدف إلى وصل الدرس البلاغي القديم بالدرسات الحديثة، وربطه ببعض مناهج النقد الحديث. وهذا فضلاً عن تمهيد تحدَّثنا فيه عن نشأة هذا العلم وتطوره.

وتعزَّز هذا المقرر بأسئلة التقويم الذاتي، والتدريبات المتنوعة التي تهدف إلى استجلاء المعاني الرائعة في تراثنا الأدبي، والوصل بين البلاغة والنحو في الدراسات البلاغية والنقدية، والتّمهيد لأبنائنا الطلبة سبيل القول والكتابة؛ إن أرادوا أن يتكلموا فيصيبوا، وأن يكتبوا فيبلغوا بأقلامهم حدود الجودة فالإبتكار فالإبداع.

ونردّ على دعاة هدم البلاغة العربية، قائلين: إنّ من لا قديم له لا جديد له، ولا يمكن لهذا الجديد أن ينهض ما لم يستند إلى الأصالة العربية الحافلة بتراثها الأدبي واللغوي.

وإذ وقف القدماء عند حدود الكلمة والجملة والصورة الجزئية، ولم يسبروا غور النصوص الأدبية، ندعو إلى الإفادة من البحوث الأسلوبية الحديثة، بوصفها رافدا من روافد النقد الأدبي الحديث وربطها بتراثنا البلاغي الغني بخصائص لغتنا الأدبية ومقوّماتها البيانية، دون أن نتجاهل هذا التراث وندير ظهورنا إليه.

ولعلّ من أنبل الأهداف التي نرمي إليها هو أن نجعل القارىء على صلة دائمة بقضية الإعجاز القرآني من حيث النظم؛ وهو هدف عظيم سعى إليه أئمة البلاغة في كتبهم.

ونحن لا نزعم أن هذا العمل بريء من العيوب والمآخذ، فسبيلنا هو تهذيبه وتنقيحه من خلال الملحوظات التي تردنا من القرّاء الأعزاء، أساتذة وطلابا.

والله نسأل أن ينفع بهذا الجهد المتواضع، إنه سميع مجيب الدُّعاء.

المعدّان

تمهيد

علم المعاني : نشأته وتطوره

علم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع. وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم، ثم أخذت طريقها نحو التخصص والاستقلال واحدة بعد الأخرى.

لقد وضع عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١هـ) نظرية علم المعاني في كتابه (دلائل الإعجاز)، ولكنه لم يقصد بتسمية (علم المعاني) المفهوم الاصطلاحي، وإنما قصد به معاني علم النحو، ثم تنبّه البلاغيون إلى ذلك وأطلقوا هذا الاسم على علم المعاني البلاغي، إذ كَسَوْا قواعد علم النحو ومسائله التي وردت في علم المعاني كسوة جديدة تخدم الأغراض التي يرمي إليها المتكلم من إنشاء كلامه، والمعاني الجديدة التي يخرج عن المعنى الأصيل إليها، بحيث أصبح على صلة بأساليب التعبير وطرقه ووسائله، فيعرف متى يجعل عبارته خبرية، ومتى يجعلها إنشائية، ومتى يقدّم المسند إليه، ومتى يُؤخّره، ومتى يُنكّره، ومتى يُعرّفه، ويوضّح له تعليل ذلك كله، ويُطلعه على أسبابه ودوافعه.

ولابد للنظم من أمرين اثنين: أولهما المعنى الذي نريد التحدث عنه، والثاني هو اللفظ الذي نعبر به عن هذا المعنى. ولكن هذين الأمرين (المعنى واللفظ) يولدان معا، وهما كالروح والجسد لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

ومن أسفٍ أن جهود البلاغيين بعد عبد القاهر الجرجاني انحصرت في جمع القواعد، وفي ترتيب الأبواب، واختصارها، ثم شرح ما هو غامض منها. فقد اختصر الفخر الرازي (-٦٠٦هـ) في كتابه (نهاية الإيجاز في دراية

الإعجاز) كتابي (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر، ثم بدأت البلاغة العربية تجمد منذ القرن السادس الهجري على يد السكاكي (-٦٢٦هـ) صاحب كتاب (مفتاح العلوم" إذ أَصَّل منهاجه فيه على أسس منطقيةٌ حوّلت البلاغة من فن إلى علم له قواعده ونظرياته التي إن نجحت في تكوين طبقات من البلاغيين فلم تفلح في تكوين البلغاء" [1].

لقد فتن العلماء بكتاب (مفتاح العلوم) فعكفوا على شرحه وتلخيصه ناهيك عن نظمه شعراً، على مدار خمسة قرون ابتداءً من القرن السابع الهجري. وقد عجز هؤلاء عن تعليم نقد أو بلاغة، وقصارى ما قدّموه أنهم كانوا يذكرون الكلمة أو العبارة من الأصل ثم يُتبعونها بشرح المراد منها، ولا يتجاوزون ذلك، سالكين مسلك المقلّدين لا مسلك المبدعين.

عرّف البلاغيون "علم المعاني" تعريفات مختلفة شكلا، ولكنها تتفق في المعنى والقصد فقد عرّفه السكاكي بأنه "تتبُّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام ما يقتضي الحال ذكره" [2].

وعرّفه الخطيب القزويني بأنه "علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال" [3] وعرّفه أحمد الهاشمي في كتابه "جواهر البلاغة" بأنه: "أصول وقواعد يُعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سبق له" [4].

لقد ازدهر هذا العلم وتوهّجت شعلته على أيدي الأوائل من أمثال عبد القاهر الجرجاني والزمخشري، ثم أخذت هذه الشعلة تخبو على أيدي

---

(١) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص ٢٧ .
(٢) السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٥٨ .
(٣) الخطيب القزويني، التلخيص، ص ٣٩ .
(٤) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٤٦ .

اللاحقين من أمثال السكاكي والقزويني وتلاميذهم. ويعمل الباحثون والدارسون في العصر الحديث على إحياء هذا العلم ونهضته.

إن علم المعاني وثيق الصلة بعلم النحو إذ يلتقيان في الاهتمام بدراسة خصائص التراكيب اللغوية، ولكن علم المعاني يهتم في دراسته بدلالة هذه التراكيب على المعاني المناسبة لكل موقف.

ويشمل هذا العلم نوعين من الموضوعات:

الأول: موضوعات تتعلق بتركيب الجملة من حيث التقديم والتأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير وغيرها.

الثاني: موضوعات تتعلق بعلاقة كل جملة بالأخرى، ودراسة النص كله بوصفه تعبيرا متصلا عن موقف واحد له معنى كلي عام. ولهذا ندرس طريقة الإيجاز أو الإطناب في الجملة المفردة، وفي النص بوصفه جملة واحدة؛ وندرس أيضا الطريقة المثلى لفصل الجمل في النص بعضها عن بعض، أو وصلها بحسب ما يقتضيه الموقف، وما تستدعيه المعاني المتقررة في نفوسنا.

ومن هذا المنطلق نبدأ بدراسة مباحث هذا العلم دراسة تفصيلية، فنتحدّث أولاً عن الفصاحة والبلاغة، ثم نتناول موضوعات علم المعاني.

الوحدة الأولى

في الفصاحة والبلاغة

الوحدة الأولى

في الفصاحة والبلاغة

تصادفنا كلمة وثيقة الصلة بكلمة البلاغة، هي كلمة "الفصاحة" حتى أضحى بعض الدارسين والباحثين يخلطون بينهما، ويستعملونها بمعنى واحد. ولذلك يَحسُن بنا أن نميّز بينهما، فنتناول مفهوم كل لفظ منهما في اللغة، ثم في اصطلاح البلاغيين.

مفهوم الفصاحة

المعنى اللغوي:

الفصاحة في أصل الوضع اللغوي[1]: الظهور والبيان؛ فحين ننظر في المعجمات العربية مادة "فصح" نجد المعاني التالية: "أفصح اللبن" أي انجلت عنه رغوته فظهر، و"أفصح فلان" أي أظهر ما في نفسه. ويقال: "أفصح الأعجمي" أي عبر عمًّا في نفسه وأظهره دون خطأ. ويلتقي هذا المعنى مع قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وأخي هارون أفصح مني لسانا﴾ (القصص: ٣٤).

المعنى الاصطلاحي:

ومعرفة المعنى اللغوي تسوق إلى معرفة المعنى الاصطلاحي، إذ يمكن

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة فصح.

تحديد معنى الفصاحة بأنها "الاقتدار على الإبانة عن المعاني الكامنة في النفوس، على عبارات جلية، ومعان نقية بهية" [1]؛ أي إظهار المعنى بالألفاظ الواضحة. وهذا يشمل:

١- **سلامة التركيب**: وذلك بأن يخلو هذا التركيب من ضعف التأليف بين ألفاظه، فلا يخرج عن قواعد اللغة المطردة، ففي قول حسان بن ثابت:

ولو أن مجداً أخلد الدهر واحداً
من الناس أبقى مجده الدهر مُطعما

خروج عن القواعد اللغوية، إذ عاد الضمير في "مجده" إلى "مطعماً" وهو متأخر في اللفظ كما نرى في البيت. وفي الرتبة لأنه مفعول به؛ ومن ثَمَّ جاء البيت غير فصيح.

ومعنى البيت: لو أن هذا المجد خلَّد أصحابه مدى الدهر، لخلّد مُطعما مجده وبرّه.

٢- **سهولة النطق**: وذلك بأن يسلم الكلام من تنافر الألفاظ، فلا تكون ثقيلة على السمع، صعبة على اللسان، فقد عيب على المتنبي قوله:

فقَلقلتُ بالهمّ الذي قلقل الحشا
قلاقلَ عيسٍ كلهن قُلاقلُ [2]

وكذلك بأن تسلم الكلمات من تنافر الحروف كقول الشاعر:

وقبرُ حربٍ بمكان قَفْرُ وليس قُرْبَ قبرِ حربٍ قَبرُ

وقد أدى تقارب الحروف في مخارجها إلى صعوبة في النطق وثقل على السمع، حتى قيل إنه لا يتهيأ لأحد أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات دون أن يتعتع [3]، ومن هنا لم يقبل البلاغيون تكرار هذه الألفاظ التي تتكرر فيها الحروف، وتتقارب في مخارجها.

---

(١) الباقلاني، إعجاز القرآن.

(٢) العيس: الجمال، والقلقل والقلاقل: السريع الحركة.

(٣) انظر: شرح شواهد التلخيص، ص ١٣ .

٣- **صحة الكلام**: وذلك بأن يسلم الكلام من التعقيد المعنوي، فنتجنب التعبير عن معنى باستعمال كلمات في غير معانيها الحقيقية. ونجد ذلك كثيراً في الأخطاء الشائعة، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

- كلمة "أخصّائي" والصحيح أن يقال: اختصاصي.
- جمع "مشكلة" على "مشاكل" و"مدير" على "مدراء" والصحيح أن يقال: مشكلات ومديرون.
- استعمال "تنفّس الصُّعداء" بمعنى ذهب عنه الضيق والكرب، والصحيح أنها تدل على أنه في كرب يصعب عليه التنفس. والدليل قوله تعالى: ﴿ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصّعد في السماء﴾.

٤- **وضوح الكلمة**: وذلك بأن يخلو الكلام من الألفاظ الغريبة المهجورة، فقد أخذ على المتنبي قوله:

مبـاركُ الاسـم أغـرُّ اللـقـبُ
كـريـمُ الجِـرِشَّـى شـريـفُ النسبْ

لأنه استعمل لفظ "الجرِشَّى" بمعنى "النفس" ولو استعمل هذا اللفظ لكان أفصح، وحظي بالأَرَقِّ الأجمل.

وقد يكتب إنسان كتابة فصيحة مستوفية لهذه الشروط كلها، فينشئ خطبة فصيحة، ثم يعجز عن إلقائها إلقاء سليما مفهوما، لسوء نطقه أو لأنه لا يحسن الوقف، فيقال إنه كاتب فصيح ولكنه ليس خطيبا فصيحا.

مفهوم البلاغة

المعنى اللغوي:

البلاغة في الوضع اللغوي تعني الوصول والإنتهاء. وهي مأخوذة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلّغها غيري، والمبالغة في الأمر: أن تبلغ فيه جهدك وتنتهي إلى غايته.

وتنتمي كلمة بلاغة إلى أُسرة من الكلمات، منها[1]:

"بلغ" أي وصل إلى الغاية؛ فنقول: بلغ الإنسان مراده: وصل إليه، وبلغت النخلة: حان إدراك ثمرها، وبلغ الصبي والبنت أي أدركا البلوغ، وأمر بالغ: نافذ، وبُلّغ: أوصل إلى غايته. و"بالغ": تجاوز. ونقول: إنسان بليغ: حَسَنُ الكلام فصيحه. وبذلك ينتهي المعنى اللغوي إلى معنيين هما: الوصول والانتهاء، والحُسن والجودة.

المعنى الاصطلاحي:

يمكن تحديد مفهوم البلاغة بأنها: وضع الكلام في موضعه من طول وإيجاز، وتأدية المعنى أداء واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاّب مع ملاءمة كل كلام للمقام الذي يقال فيه وللمخاطبين به[2]. وهي باختصار: إيصال المعنى بوضوح وقوة وتأثير.

أما عناصر البلاغة فهي: اللفظ، والمعنى، وتأليف الألفاظ على نحو يكسوها قوة وحيوية وتأثيراً حسنا، ثم الدقة في اختيار الكلمات، وتلمّس الأساليب، بحيث تأتي موافقة لعقولهم، ومنسجمة مع قدراتهم البيانية، ومستجيبة لعواطفهم وانفعالاتهم وميولهم[3].

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة بلغ.

(٢) انظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص ١٠ .

(٣) انظر: محمد بركات أبو علي، علم البلاغة، ص ٢٠٣ .

ومن هنا نسمعهم يقولون: إن كل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغا[1]؛ فقد يستعمل المتكلم عبارات فصيحة في غير موضعها، فيطنب في موضع إيجاز، ويوجز في موضع إطناب، وحينئذ لا يكون كلامه بليغا.

هذا عن البلاغة، أما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته[2]، ومقتضى الحال مختلف تبعا لتفاوت مقامات الكلام، على نحو ما سندرسه في مباحث علم المعاني.

وخلاصة الأمر، أن البلاغة تعود إلى أمرين: تمييز الفصيح من غيره، والاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد.

الفرق بين الفصاحة والبلاغة

إن الفصاحة تُعنى بقدرة المتكلم على إبانة الألفاظ وإظهار حروفها. والبلاغة تتجاوز ذلك إلى المعاني فتكون في اللفظ والمعنى. وهما وإن اختلفتا أصلا فإنهما ترجعان إلى معنى واحد، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له، ليس عندنا علم خاص يسمى "علم الفصاحة" فالفصاحة صفة نكتسبها من مراعاة قواعد اللغة العربية، وإجادة نطق الحروف، ومراجعة معجمات اللغة.

أما البلاغة فعلم تفرَّع إلى ثلاثة أقسام هي: علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع.

(١) انظر: القزويني، التلخيص، ص٣٦ .

(٢) م. ن.

صفات الكلام البليغ

تقوم البلاغة على دعائم هي :

أ - إختيار الحروف والكلمات، من حيث:

١- **تناسق الحروف والكلمات:** فهناك كلمات متنافرة الحروف مثل كلمة "مُسْتَشْزِرات" في قول امرئ القيس:

غدائرها مُستشزراتٌ إلى العُـلا ... تَضِلُّ العِقاصُ في مُثَنًّى ومُرسَلِ[1]

ففي كلمة "مستشزرات" تنافر الحروف؛ لقرب مخارجها. ومن ثَمَّ جاءت ثقيلة على اللسان، صعبة النطق.

ويرى بعض الباحثين أن هذا التنافر في الحروف يتناسب مع صورة الشعر الذي تداخل بعضه ببعض؛ جراء ريح الصحراء، ففيه تصوير لمعاناة الفتاة العربية الصحراوية، من عناد بين ريح الصحراء الشديدة، ومدافعة شعرها الطويل المسترسل لتلك الريح[2].

وهناك أيضاً أقوال متنافرة الكلمات مثل قول الشاعر:

لو كنتُ كتمتُ السّر كنت كما ... كنا وكنت ولكن ذاك لم يكـن

٢- **التناسب المعنوي بين الألفاظ**، نحو قول أبي تمام في وصف الربيع:

دنيـــا معاش للـــورى حتى إذا ... حـلَّ الربيـع فإنمـا هـي منظـرُ

أضحت تصوغ بطونها لظهورها ... نـورا تـكـاد لـه القـلـوب تنـوّر

فالتناسب المعنوي بين الألفاظ واضح في الكلمات التالية:

مشمساً - مقمر، معاش - منظر، بطونها - ظهورها، نورا - تنوِّر.

---

(١) الغدائر: جمع الغديرة، وهي الخصلة من الشعر. الاستشزار: الارتفاع . العقيصة: الخصلة المجموعة من الشعر.

(٢) انظر: محمد بركات أبو علي، فصول في البلاغة، ص ٦٠ .

٣- **مناسبة الأصوات للمعاني**: من ذلك قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم والآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ (البقرة: ٨-١٠) فهذه آيات متوسطة الطول ذات نغمات وئيدة تناسب موضوعها وهو تفصيل أحوال المنافقين. وقوله تعالى: ﴿ونفسٍ وما سوّاها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾ (الشمس: ٨) وهذه آيات قصيرة سريعة لافتة، تناسب موضوعها وهو الإشارة إلى آيات الله في خلق الإنسان.

ب - حُسن التركيب وصحته، من حيث:

١- **استقامة تركيب الجمل ووضوح دلالتها على المعاني**: وقد وقع الفرزدق في تراكيب شاذة تحدّث عنها النحويون، في مثل قوله:

هو السيفُ الذي نَصَرَ ابنَ أروى   به عثمانَ مـروانُ المصابـا[٢]

فألفاظ البيت متراكبة ومتداخل بعضها فوق بعض. وترتيبه: هو السيف الذي نصر به مروان عثمان بن أروى المُصاب.

٢- **تنوّع التراكيب**: وهذا التنوع يزيد المعنى قوّة وتأثيراً، وهو ما تلمسه في القرآن الكريم، من ذلك حديث المنافقين في سورة البقرة، وهو حديث يصوّر خُبثهم في التعبير بأساليب مختلفة، وهي:

- أسلوب الاستفهام حين يُدعون إلى الإيمان إذ يقولون: (أنؤمن كما آمن السفهاء).
- أسلوب الخبر الخالي من التوكيد حين يقولون للمؤمنين: (آمنا) وهي جملة فعلية خبرية تخلو من المؤكدات.

---

(١) هو السيف: المقصود الحجاج بن يوسف، وابن أروى: عثمان بن عفان، وأمّه أروى بنت كويز بن ربيعة.

- أسلوب الخبر المؤكد حين يخلون إلى شياطينهم إذ يقولون: (إنا معكم). و(إنما نحن مستهزئون)، فهم يستعملون الجملة الإسمية المؤكدة، وهذان تركيبان يدلان على تأصل الكفر في نفوسهم، وحرصهم على إرضاء أتباعهم.

ج - اختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين، مع حُسن ابتداء، وحُسن انتهاء:

ويكون ذلك بمراعاة المقام الذي يُلقى فيه النص، ولا يكفي أن يكون هذا النص جيد السبك، جميل العبارة. والشواهد في ذلك كثيرة:

- مدح جرير عبدالملك بن مروان بقصيدة مطلعها :

أتصحو أم فؤادك غير صاحِ

فاستنكرعبدالملك هذا الابتداء.

- وصف أبو النجم في حضرة هشام بن عبدالملك فقال :

صفراء قد كادت ولمّا تفعلِ
كأنّها في الأفقِ عينُ الأحولِ

وكان هشام أحول، فأمر بحبسه.

- قول البحتري أمام ممدوحه :

لك الويلُ من ليلٍ تقاصر آخره

وهو قول عابه النقاد.

ومهما يكن من أمر، فإن الفصاحة والبلاغة وجهان لعملة واحدة؛ فهما يتحدان في الهدف، ويسعيان إلى تأسيس جماليات في العمل الأدبي؛ من خلال التآلف والتناسق والوضوح في هذا العمل.

أسئلة التقويم الذاتي

١- وضّح المقصود بالفصاحة لغة واصطلاحا.

٢- حدّد مفهوم البلاغة لغة واصطلاحا.

٣- نعت البلاغيون الكلام الفصيح بنعوت معينة، اذكر هذه النعوت.

٤- عدّد صفات الكلام البليغ.

تدريبـــــات

التدريب الأول:

بين ما أخلَّ بفصاحة الكلمة أو الكلام في ما يأتي:

١- احر نجم الطلبة في القاعة[١].

٢- اعلوطَّ الرجل البعير[٢].

٣- اجلوَذَّ الفيل[٣].

٤- قال أبو تمام:

جعل القنا الدَّرجات للكَذَجات ذا   ت الغيل والحرجات والأدحالِ[٤]

٥- وقال المتنبي:

أنّى يكون أبا البرية آدمُ   وأبواك والثقلان أنتَ محمدُ

---

(١) احرنجم: اجتمع.
(٢) اعلوطَّ: ركب.
(٣) اجلوذّ: أسرع.
(٤) الكذجات: جمع كذج وهو المأوى؛ الغيل الغاب؛ الحرجات: مجتمع الأشجار؛ الأدخال: مجتمع الماء.

٦- وقال الأعشى:

وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعني   شاوٍ مشلٌّ شلولٌ شُلشُلٌ شَوِلُ

____

____

٧- وقال الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مُمَلَّكاً   أبو أمّه حيٌّ أبوهُ يُقاربُه

____

____

____

٨- وقال الشاعر:

وأركب في الرَّوع خيفانةً   كسا وْجهَها سَعَفٌ مُنتشر[1]

____

____

٩- وقال آخر:

فأصبحتْ بعد خطّ بهجتها   كأن قفراً رُسُومُها قَلَما

____

____

____

(١) الخيفانة في الأصل؛ الجرادة، ويقصد بها هنا الفرس الخفيفة.

التدريب الثاني:

بيّن ما تجده من عيوب الكلمة والكلام، وماذا أخلّ بالبلاغة في ما يأتي:

١- قال الفرزدق للوليد بن عبد الملك:

إلى ملكٍ ما أُمّه من مُحاربٍ   أبوها ولا كانت كليبٌ تُصاهرهْ

٢- قال أبو تمام:

قدْك اتّئبْ أربيتَ في الغُلواءِ   كم تعذلون وأنتم سُجَرَائي[1]

٣- وقال أيضا:

قد قلت لمّا اطلَخمَّ الخطبُ وانبعثتْ   عشواءُ تالية غُبْساً دهاريسا[2]

٤- ومدح ذو الرّمه عبدالملك بن مروان بقصيدة مطلعها:

ما بالُ عينكَ منها الدمعُ ينسكبُ   كأنه من كُلىً مفريّة سَكِبُ

(١) قدك: كفاك؛ اتئب: استح؛ السجراء: جميع سجير وهو الصفيّ والخليل.

(٢) اطلخَّم: اسودَّ؛ العشواء: الظُّلمة؛ الغُبس: جمع غبساء وهي المظلمة؛ الدّهاريس: جمع دهرس وهي الداهية.

٥- وقال الشاعر:

وأزْوَرَّ مــن كـــان لـــه زائـــراً   وعـافَ عـافـي العُـرْفِ عـرفـانَـهُ[1]

٦- وقال آخر:

ومن جاهلٍ لي وهو يجهلُ جهله   ويجـهلُ عـلـمـي أنه بـيَ جاهـلُ

(١) العافي: الطالب؛ العرف: المعروف.

الوحدة الثانية

الخبـــــر

الوحدة الثانية

الخبـــــر

الكلام بين الخبر والإنشاء:

نشأ الكلام حول المفهوم الاصطلاحي لكل من الخبر والإنشاء في عهد الخليفة العباسي المأمون (-٢١٨هـ) إبان فتنة القول بـ (خلق القرآن) التي ابتدعها المعتزلة - ومعهم الخليفة نفسه - وروّجوا لها، وحملوا الناس عليها.

وتدور فكرة المعتزلة حول القرآن الكريم على أنه مخلوق وإن كان وحياً، إذ هو تشريع يتضمّن الأوامر والنواهي والأخبار، مما ينفي عنه صفة القدم والأزلية، في حين يرى أهل السُّنّة أنه أزلي قديم، ومن هنا نشأت تلك الفتنة.

يرى المعتزلة أن ما تضمّنه القرآن الكريم لا يخرج عن واحد من ثلاثة: أمر ونهي وخبر، وذهبوا في تحديد مفهوم الخبر مذهبين:

- مذهب النَّظَّام: يرى صدق الخبر أو كذبه في مطابقته لاعتقاد المخبر أو عدم مطابقته حتى لو كان ذلك مخالفاً للواقع.
- مذهب الجاحظ: لم يقف بالخبر عند حد الصدق والكذب بل ذهب إلى أن الخبر ثلاثة أضرب: صادق، وكاذب، وغير صادق ولا كاذب. وهو في هذا يخالف أستاذه النظام إذ رأى أن الخبر الصادق هو الذي يطابق الواقع مقرونا بالاعتقاد بأنه مطابق له، والخبر الكاذب هو الذي لا يطابق الواقع، مع الاعتقاد بأنه كذلك.

أما الخبر الذي ليس بصادق ولا كاذب فإنه يشمل عنده أربعة أنواع، هي:

١- الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق.

٢- الخبر المطابق للواقع دون الاعتقاد أصلا.

٣- الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق.

٤- الخبر غير المطابق للواقع دون الاعتقاد أصلا.

ومن العلماء الذين عرضوا للخبر ابن قتيبة الدينوري(-٢٧٦هـ) في كتابه (أدب الكاتب)، وابن فارس (-٣٩٥هـ) في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها).

وتأثر البلاغيون بأقوال من سبقوهم من العلماء فقسّموا الكلام العربي كله إلى: خبر وإنشاء، فصّلوا القول في كل واحد منهما.

الخبر

اختلفت آراء العلماء في مفهوم الخبر، لكن هناك قدراً مشتركا بينهم يمكن أن نستخلص منه تعريفا له وهو:

"الخبر ما يصحُّ أن يُقال لقائله إنه صادق فيه لذاته أو كاذب فيه لذاته. فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا"[١]. وهذا رأي الجمهور من العلماء كالجرجاني والباقلاني والفخر الرازي والقزويني والسكاكي.

وجملة الخبر لها ركنان: المسند إليه (المبتدأ/ الفاعل)، والمسند (الخبر/ الفعل) وما زاد على ذلك غير المضاف إليه وصلة الموصول فقيد (أدوات الشرط والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز، والأفعال الناسخة، والتوابع الأربعة: النعت، والعطف، والتوكيد، والبدل).

والحديث عن الخبر يسوق إلى الحديث عن أغراضه ومؤكداته وأضربه.

---

(١) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص ٤٨ .

أولاً - أغراض الخبر:

نعني بهذا العنوان الغرض الذي نقصده حينما نُلقي أي خبر من الأخبار، وإذ نلقي هذا الخبر إلى المخاطب فإننا نبتغي غرضين اثنين، هما: فائدة الخبر، ولازم الفائدة.

١- **فائدة الخبر**: هو إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ذلك أن مَنْ يُلقى الخبر أو من يُوَجَّه إليه الكلام يجهل حكمه (مضمونه)، ويراد إعلامه به. ويتمثل ذلك في الأخبار التي تعرض المسائل العلمية على طلبة العلم، وفي مختلف الكتب العلمية والأدبية كالعلوم والرياضيات والتاريخ والأدب والنقد وما شاكلها.

فهنا يكون الإنسان الذي تنقل إليه الخبر جاهلا به، ولا يعرف من أمره شيئا، ويكون غرضك إفادته شيئا جديدا لا علم له به من قبل، من ذلك مثلا هذا الخبر التاريخي عن هارون الرشيد: "يُعدّ الرشيد من أشهر الخلفاء العباسيين، وقد امتزجت في شخصيته حقائق التاريخ بخيال القصص: فهو يُصوّر أحيانا بصورة الخليفة المسرف في الترف والملذات ويُصوّر أحيانا بصورة الخليفة الورع المتدين الذي تسيل عبراته عند سماعٍ الموعظة، والبطل المجاهد الذي أمضى حياته بين حج وغزو، فكان يحجٍ عاما ويَغزو عاما، وهو أول خليفة عباسي قاد الغزو بنفسه"[١].

فالغرض من الخبر هنا هو (فائدة الخبر). ومثاله أيضا قول ابن مالك في الألفية:

كلامنا لفظٌ مفيدٌ كـ: استقم   اسمٌ وفعلٌ ثم حرفٌ الكلمْ

٢- **لازم الفائدة**: هو إفادة المخاطب ان المتكلم عالم بالحكم (المضمون)، مُلمٌّ بمعناه. ويأتي في مواطن المدح والهجاء والعتاب واللوم والغزل وما شاكل ذلك من كل موطن يقوم فيه إنسان بعمل ما، ثم يأتي

(١) أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٨٠ .

إنسان آخر فيخبره به، بوصفه عالما بمضمونه الذي يلزم فائدته كأن أقول للعاقّ يضرب أمّه: هذه أمّك، فأنا لم أقدّم له شيئا جديداً، ولم أخبره حكما يجهله فهو يعرف أنها أمّه، ويسمى هذا الغرض لازم الفائدة أو لزوم الفائدة.

ومن ذلك قول المتنبي مخاطبا سيف الدولة ومثنيًا على شجاعته:

وقفت وما في الموت شكّ لواقف ... كأنك في جفن الرّدى وهو نائمُ
تمرُّ بك الأبطال وكلمى هزيمة ... ووجهك وضّاحٌ وثغرك باسم

فالمتنبي لا يقصد أن يفيد مخاطبه علما بالحكم (المضمون)؛ لأن سيف الدولة لا يجهله، بل هو يعلمه عن نفسه قبل أن يعلمه المتكلم به، وإنما يريد المتنبي أن يبيّن لسيف الدولة أنه، المتنبي، عالم بمضمون الخبر الذي أورده في بيته.

أغراض أخرى للخبر

يخرج الخبر عن الغرضين السابقين لتحقيق أغراض بلاغية أخرى، تُفهم من سياق الكلام، ومنها:

١- **الاسترحام والاستعطاف**: نحو قول إبراهيم بن المهدي مخاطبا المأمون:

أتيتُ جُرماً شنيعاً ... وأنت للعفو أهلُ
فإن عَفَوْتَ فَمَنٌّ ... وإن قتلْتَ فعدلُ

٢- **إظهار الضعف**، ومنه قوله تعالى على لسان زكريا - عليه السلام - ﴿ربِّ إني وهَنَ العظم مني﴾ (مريم: ٤) ومنه قول ابن الرومي:

ودبَّ كلالٌ في عظامي أدبَّني ... جنيب العصا أنأدُ أو أتأيّدُ
وبُدِّل إعجاب الغواني تعجبا ... فهنَّ روانٍ يَعتبْرنَ وصُدَّدُ

٣- **إظهار التحسُّر على شيء محبوب**، نحو قول ابن الرومي متحسِّراً على شبابه:

يُذكرني الشبابَ جنانُ عَدْنٍ   على جَنَباتِ أنهارٍ عِذابِ
يُذكرني الشبابَ وميضُ برقٍ   وسجعُ حمامةٍ وحنينُ نابِ

٤- **الفخر**، نحو قول الرسول (ﷺ): (إن الله اصطفاني من قريش).

٥- **المدح**، نحو قول النابغة الذّبياني:

فإنك شمسٌ، والملوك كواكبٌ   إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كواكبُ

٦- **الحثّ على السعي والجد**، نحو قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا وزيادة﴾.

٧- **التحذير**، نحو قول الرسول (ﷺ): (أبغض الحلال إلى الله الطلاق).

٨- **التوبيخ**، كقولك لمن يتعمّد الإفطار في رمضان: "الصيام ركن من أركان الإسلام". ومنه قول الرصافي:

فشرُّ الناسِ قومٌ ذو خُمولٍ   إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

والمعاني التي يحتملها لفظ الخبر كثيرة، لا تكاد تحصر، ويمكن الاهتداء إلى معرفتها من خلال القرائن والأحوال وسياق الكلام، والذوق السليم، والفهم الحسن.

وهناك أغراض أخرى كالنصح والإرشاد، والرثاء والهجاء، والوعظ.

ثانياً - مؤكدات الخبر:

يُؤكّد الخبر بأدوات وطرق لا بُدّ من معرفتها؛ ليستعملها دارس البلاغة عند الحاجة... وهذه الأدوات كما ذكرها علماء النحو والبلاغة هي: إنَّ، ولامَ الابتداء، وأمّا الشرطية، والسين، وقد (للتحقيق)، وضمير الفصل، والقسم، ونون التوكيد، والحروف الزائدة، وحروف التنبيه.

١- إنَّ: وهي حرف ناسخ مشبّه بالفعل، تؤكد مضمون الخبر، نحو قوله تعالى: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾.

٢- لام الابتداء: تدخل على المبتدأ نحو: لأنت مجتهد، وتقترن بإنّ، وتُسمّى اللام المزحلقة نحو إنك لمجتهد، وتدخل على المضارع الذي يقع خبرا لإنّ نحو: إنك لتصل الرحم.

٣- أمّا الشرطية: وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، نحو قوله تعالى: ﴿وأمّا بنعمة ربك فحدث﴾ (الضحى: ١١).

٤- السين: وهي حرف يختص بالمضارع ويُخلّصه للاستقبال، وتدخل على فعل محبوب أو مكروه، فتفيد الوعد أو الوعيد لتوكيد هذا الفعل وتثبيت معناه نحو قوله تعالى: ﴿أولئك سيرحمهم الله﴾ و ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ (المسد: ٣).

٥- قد (للتحقيق): وهي حرف يختص بالفعل الماضي وتفيد توكيد مضمون الجملة نحو قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (المؤمنون: ١).

٦- ضمير الفصل: ويُؤتى به لإزالة الإبهام والاحتمال بين الخبر والصفة، نحو: محمد هو الأمين.

٧- القسم: وأحرفه الباء والواو والتاء، نحو: أُقسم بالله، وقوله تعالى: ﴿والتّين والزيتون﴾ (التين: ١) ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ (الأنبياء: ٥٧).

٨- نون التوكيد (الثقيلة والخفيفة) نحو: لأجتهدنّ/ لأجتهدَنْ.

٩- الحروف الزائدة، وهي:

- إنْ، نحو: ما إن قبلت ضيما

- ما، نحو قول البحتري:

وإذا مـا جُفيتُ كنت حرّيـــــاً ... أن أرى غير مصبح حيث أُمسي

- لا، نحو قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ (الواقعة: ٧٥).

- من والباء الجارّتين نحو: ما جاءنا من أحد، وقوله تعالى: ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ (الغاشية: ٢٢).

١٠- حروف التنبيه: ومنها:

- ألا، نحو قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (يونس: ٦٢).

- أما، نحو: أما والله إنك لتساعد الناس.

ثالثاً - أضراب الخبر:

تختلف أضرب الخبر باختلاف أحوال المخاطب، وهي ثلاث حالات:

١- أن يكون خالي الذهن من الحكم الذي تضمّنه الخبر، غير متردد فيه ولا منكر له. وفي هذه الحال يُلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد. ويسمى هذا الضرب من الخبر **ابتدائيا**.

ومثاله قول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صَمَمُ

أنام ملء جُفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جرّاها ويختصمُ

٢- أن يكون مترددا في الحكم شاكًا فيه، ويبغي الوصول إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويحل فيها اليقين محل الشك. ويسمى هذا الضرب من الخبر **طلبيا**.

ومثاله قول المتنبي:

إني أصاحب حلمي وهو بي كَرَمٌ ... ولا أصاحب حلمي وهو بي جُبُنُ

٣- ان يكون منكرا لحكم الخبر، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكدين أو أكثر. ويسمى هذا الضرب من الخبر **إنكارياً**، ومثاله قول أبي العلاء المعرّي:

ألا إن أخلاق الفتى كزمانه ... فمنهنّ بيض في العيون وسود

وعلى أية حال فإنّ الحكم على هذه الأضرب، إنما يكون بحسب ما

يخطر في نفس القائل من أن سامعه خالي الذهن أو متردد أو منكر. وقد يخفى ذلك على الخاصّة من الناس، فرويَ أن الكندي الفيلسوف ركب إلى أبي العباس ثعلب، وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً، فقال أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبدالله قائم، ثم يقولون: إن عبدالله لقائم، فالألفاظ متكررة، والمعنى واحد. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لإختلاف الألفاظ. فالأول إخبار عن قيامه، والثاني: جواب عن سؤال سائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ؛ لتكرر المعاني.

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر

إن إيراد الخبر لا يرد دائما على مقتضى الظاهر، فهناك أحوال تدفع المتكلم إلى أن يورده على صورة تخالف الظاهر يسميها البلاغيون خروج الخبر عن مقتضى الظاهر؛ وهي:

١- تنزيل خالي الذهن من الخبر بمنزلة السائل المتردد، نحو قوله تعالى: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾. فالمخاطب خالي الذهن من الحكم ولكنه يتطلع إليه، ولهذا نُزِّل منزلة المتردد الشاك، وأُلقي إليه الخبر مؤكدا استحسانا.

٢- تنزيل غير المنكر منزلة المنكر، إذا ظهر عليه شيء من أَمارات الإنكار، نحو قوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾؛ فالمخاطبون لا ينكرون حقيقة الموت، ولكنهم تكالبوا على الدنيا وكادوا ينسون الموت، فعوملوا معاملة المنكرين.

٣- جعل المنكر كغير المنكر، إذا كان لديه شواهد وأدلّة لو أنعم النظر فيها لعدل عن إنكاره، نحو قوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد﴾.

فقد عومل المنكرون لوحدانية الله معاملة غير المنكرين لها، لأن لديهم شواهد وأدلة لو أنعموا النظر فيها لأيقنوا أن الإله واحد لا شريك له.

فوائد:

١- توجد طريقة للتوكيد غير الأدوات، تعرف من تركيب الجملة؛ كالتوكيد بالجملة الاسمية؛ كقولنا: المسجد الأقصى مسؤولية الأمة. ويكون أيضا بتقديم الفاعل من حيث المعنى؛ كقولنا: القمر هلّ.

٢- تختص أدوات التوكيد إما بالجملة الاسمية، مثل: (إنّ، وأنّ، ولكنّ) ومنها ما يختص بالجملة الفعلية، مثل: (قد، والسين، وسوف، ولن)، ومنها ما يدخل عليهما معاً كالقسم، وبعض الحروف الزائدة.

٣- يمكن أن تكون في الجملة الواحدة عدة مؤكدات.

أسئلة التقويم الذاتي

١- متى نشأ الكلام حول مفهومي الخبر والإنشاء؟ موضّحا دور المعتزلة في ذلك.

٢- اذكر معنى الخبر اصطلاحا.

٣- اذكر بعض مؤكدات الخبر مقرونة بأمثلة دالة.

٤- بيّن أغراض الخبر، واشفع ذلك بالأمثلة.

٥- ما الأحوال التي يخرج فيها الخبر عن مقتضى الظاهر؟

تدريبـــــات

التدريب الأول:

استخرج المؤكّدات الواردة في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿لئن أنجيتنا لنكوننّ من الشاكرين﴾ (يونس: ٢٢).

المؤكدات: ________________

٢- قال تعالى: ﴿والفجر وليالٍ عشر﴾

المؤكدات: ________________

٣- قال الشاعر:

ولم أرَ كالمعروف أمّا مذاقه فحلو، وأمّا وجهـه فجميل

المؤكدات: ________________

٤- قال حسّان بن ثابت:

فإنّ أبي ووالده وعـرضي لعرض محمد منكم وقاء

المؤكدات: ________________

٥- قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها﴾ (الشمس: ٩-١٠).

المؤكدات: ________________

٦- قال الشاعر:

ما إن ندمتُ على سكوتي مرةً ولقد ندمتُ على الكلام مِراراً

المؤكدات: ________________

٧- قال عمرو بن معد يكرب:

ليس الجَمـــالُ بمئـــزرٍ فاعْلـــمْ وإنْ رُدِّيتَ بُردا

المؤكدات: ________________

٨- قال ابن زُريق البغدادي:

لا تعذليـــهِ فـإنّ العَذْلَ يُولِعُـه قد قلتِ حقّاً ولكنْ ليس يسمعُهُ

المؤكدات: ______________________

٩- قال الشاعر:

لا لا أبوحُ بُحبٍّ بَثنــةَ إنّها أخذتْ عليَّ مواثِقاً وعُهودا

المؤكدات: ______________________

١٠- قال الشاعر:

لأستسهِلَنَّ الصَّعب أو أُدْرِكَ المُنى فما انقادتِ الآمـــالُ إلاّ لصابرِ

المؤكدات: ______________________

التدريب الثاني:

بيّن سبب خروج الخبر عن مقتضى الظاهر في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿يا أيّها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾

السبب: ______________________

٢- قالت السيدة خديجة - رضي الله عنها - للرسول - عليه السلام - عندما عاد من غار حراء وقد رأى ما رأى، قلت له: "والله إنّك لتصل الرحم وتقري الضيف وتؤدّي الأمانة".

السبب: ______________________

٣- قولك لمنْ يجحد فضل العلم: العلم يبني بيوتا لا عماد لها.

السبب: ______________________

٤- قولك لمنْ ينكر ضرر الجهل: الجهل يهدم بيت العزّ والكرم.

السبب: ______________________

٥- قال الرسول - ﷺ - : (مَنْ قال قبل أن ينصرف ويثني رجله من صلاة المغرب والصبح: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات، كُتب له بكل واحدة عشر حسنات، ويميتْ عنه عشر سيئات، ورُفع له عشر درجات).

السبب: ________________

التدريب الثالث:

بيّن الغرض من الخبر فيما يأتي:

١- قال المتنبي يخاطب سيف الدولة:

تدوسُ بك الخيل الوكور على الذّرى   وقد كثرت حول الوكور المطاعم

الغرض: ________________

٢- قال رسول الله ﷺ: (إنّما الأعمال بالنيَّات، وإنّما لكل إمرئ ما نوى).

الغرض: ________________

٣- قال تعالى: ﴿قال ربِّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ (القصص: ١٦).

الغرض: ________________

٤- قال الشاعر:

إنّ الشبابَ والفراغَ والجِدَهْ   مفسدةٌ للمرء أيُّ مفسدةْ

الغرض: ________________

٥- قال أبو فراس الحمداني:

ونحن أناس لا توسُّط بيننا   لنا الصدر دون العالمين أو القبر

الغرض: ________________

٦- قال لبيد:

ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفٍ كجلْدِ الأجرب

الغرض: ____________________

٧- قال المتنبي في مدّح سيف الدولة:

طلبتهم على الأمواهِ حتى تخوّف أن تفتّشَه السحابُ

الغرض: ____________________

٨- قال شوقي:

يا أُخت أندلسٍ عليكِ سَلامُ هَوَتِ الخِلافةُ عنكِ والإسلامُ

الغرض: ____________________

٩- قال أبو المنهال الخزاعي:

إنّ الثمانين - وبُلِّغْتَها - قد أحوجتْ سَمعي إلى تَرْجُمانِ

الغرض: ____________________

١٠- قال حسَان بن ثابت:

أولئك قومي فإن تسألي كرامٌ إذا الضيفُ يوماً ألمْ

يواسون جارهم في الغنى ويحمون مولاهم إنْ ظلمْ

الغرض: ____________________

١١- أسلم معاوية مع أبيه عام الفتح، واستكتبه النبي - عليه السلام - واستعمله عمر - رضي الله عنه - على الشام، ثم أسّس الدولة الأموية. وكان حليما حازما، داهية عالما بالسياسة.

التدريب الرابع:

بيّن أضرب الخبر من حيث كونه ابتدائيا أو طلبيا أو إنكاريا، في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (الكهف: ٤٦).

ضرب الخبر: ______________________

٢- الدين المعاملة.

ضرب الخبر: ______________________

٣- قال تعالى: ﴿يسألونكَ عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾ (البقرة: ٢١٩).

ضرب الخبر: ______________________

٤- قال الشاعر:

إنّ المكارم أخـلاقٌ مطهّرةٌ الدين أوّلُها والعقل ثانيها

ضرب الخبر: ______________________

٥- إنّ نتائج الامتحان قد ظهرت.

ضرب الخبر: ______________________

٦- والله إن خالداً لمسافر.

ضرب الخبر: ______________________

٧- قال أبو نواس:

عليك باليــأس من الناس إنّ غنى النفسِ في اليأسِ

ضرب الخبر: ______________________

٨- قال تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ (الكوثر: ١).

ضرب الخبر: ______________________

الوحدة
الثالثة

الإنشاء

أ - الأمر

الوحدة الثالثة

الإنشـــاء

أ - الأمر

يُعدّ الإنشاء قسيم الخبر في الكلام العربي، وإذا كان الخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب لذاته فإن الإنشاء هو ما لا يحتمل صدقاً ولا كذبا؛ لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه. وهو نوعان:

الأول: الإنشاء الطلبي؛ أي ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب أو هو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه، ويشمل الأمر والنّهي والاستفهام والتمنّي والنّداء[1].

والثاني: الإنشاء غير الطّلبي، أي ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويشمل: المدح والذّم، والتعجب، والقسم وأفعال الرجاء، وصيغ العقود.

وهذا النوع ليس من مباحث علم المعاني، وذلك لقلة أغراضه البلاغية من جهة، ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء من جهة أخرى.

أما النوع الأول فهو الإنشاء الطلبي، الذي اهتم به البلاغيون، لكثرة ما فيه من دلالات بلاغية[2]. ومن هنا سنتناول أنواعه بشيء من التفصيل، فندرس الأمر، فالنهي، فالاستفهام، فالتمني، فالنّداء.

---

(١) هذه الأنواع الخمسة الأكثر استعمالا، وهناك العرض والتَّخضيض وهما أقل استعمالا.

(٢) انظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص ٧٤-٨٠ .

أولاً - الأمر

وهو في معناه الوضعي، أي في المستوى الاعتيادي من اللغة (طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام)[1]؛ ويكون من الأعلى لمن هو أدنى منه. وله أربع صيغ تحمل المعاني الحقيقية وهي:

- فعل الأمر، نحوا قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (المزّمل: ٢٠)
- المضارع المقرون بلام الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾ (قريش: ٣).
- اسم فعل الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضَلَّ إذا اهتديتم﴾ (المائدة: ١٠٥).
- المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ (البقرة: ٨٣).

وتعّد هذه المعاني الحقيقية من أبواب النحو، ومن اختصاص النحاة. أما المعاني المجازية التي يخرج إليها الأمر ويعدل إليها المبدع في بنائه الفني، فهي كثيرة، تُعرف من السياق وقرائن الأحوال ومنها: الدعاء، والرّجاء، والالتماس، والتمني، والنصح والإرشاد، والتخيير، والإباحة، والتعجيز، والتهديد، والتسوية، والتحقير.

١- **الدُّعاء**: ويكون من الأدنى إلى الأعلى على سبيل الاستغاثة والعون والعفو والرحمة ويصدر من الإنسان إلى الله - جلّ شأنه - نحو قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام): (ربِّ هبْ لي حكما وألحقني بالصّالحين) (الشعراء: ٨٣).

٢- **الرجاء**: ويصدر من شخص إلى آخر أعلى منه منزلة وشأنا، نحو قول المتنبي يخاطب سيف الدولة:

أخا الجودِ أعطِ الناسَ ما أنتَ قائلُ ولا تعطينَّ الناسَ ما أنـا قائـلُ

---

(١) السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٣١٨ .

٣- **الالتماس**: ويكون بين الأنداد المتساوين قدراً ومنزلة، نحو قول جميل بثينة:

فأحيي - هداكِ الله - نفسا مريضةً طويـــلا بكـــم تهيامُهـــا وعناؤها

وهو التماس اقترن بالدعاء. ونحو قولك لزميلك: أعطني الكتاب.

٤- **التمني**: وذلك عندما يكون الأمر موجها إلى من لا يعقل، في أمرٍ لا يُرجى وقوعه بوصفه مستحيلا أو غير مطموع في نيله، نحو قول أبي العلاء:

فيا موتُ زُر إنّ الحياة ذميمـــةٌ ويا نفسُ جِدّي إنّ دهرك هازلُ

٥- **النصح والإرشاد**: وهو طلب يخلو من التكليف والإلزام يحمل بين طيّاته معنى النصيحة والتوجيه، نحو قوله تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ (الشعراء: ١٦٣).

وقول خالد بن صفوان ينصح ابنه (دع من أعمال السر ما لا يصلح لك في العلانية).

٦- **التخيير**: وهو طلب يختار فيه المخاطب أحد أمرين دون الجمع بينهما نحو قول بشار بن برد:

فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنّه مُقارفُ ذنبٍ مرة ومجانبـــــه

٧- **الإباحة**: ويكون إذنا للمخاطب بالفِعل دون حرج عليه في التّرك، نحو قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ (البقرة: ١٨٧).

ومن الأمر الذي خرج المعنى فيه إلى الإباحة قول كثير عزَّة:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينـــا ولا مقليّـــةِ إن تقلّتِ

فالشاعر يُبيحُ لها أي فعل تفعله، ما دامت مكانتها ثابتة في قلبه سواء أساءت به أو أحسنت.

٨- **التعجيز**: وهو أن يطالب المخاطب بعمل يعجز عن فعله أو القيام به، نحو قوله تعالى: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ (البقرة: ٢٣).

وقول الطغرائي:

حبُّ السلامة يثني همَّ صاحبه ... عن المعالي ويُغري المرء بالكسل

فإن جَنَحْتَ إليه فاتخذْ نفقاً ... في الأرض أو سُلَّماً في الجوِّ فاعتزلِ

٩- **التهديد**: وهو أن يُطلب من المخاطب القيام بما أُمرَ به تخويفا وتحذيراً له ويسمّيه ابن فارس (الوعيد)، نحو قوله تعالى: ﴿قل تمتّعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ (إبراهيم: ٣٠). ومنه قول أبي تمام:

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي ... ولم تستحْيِ فاصنعْ ما تشاء

١٠- **التسوية**: وتكون حين يتساوى أمران ولا يرجح أحدهما على الآخر، نحو قوله تعالى: ﴿قل أنفقوا طوعاً أو كرها لن يتقبّل منكم﴾ (التوبة: ٥٣). فقد سُوِّى بين الانفاق طوعا أو كرهاً في عدم القبول.

١١- **التحقير**: ويُقصد به استصغار المخاطب والإقلال من شأنه والإزراء به، نحو قوله تعالى: ﴿ذُق إنك أنت العزيز الكريم﴾ (الدخان: ٤٩) ومثله من الشعر قول ابن الرومي في هجاء صاحب لحية طويلة:

ألقها عنك يا طويلة أو لا ... فاحتسبها شرارة في السعير

أرْعِ فيها الموسى فإنك منها ... شهد اللهُ في أثام كبير

١٢- **التّدلّه**: ويكون في مقام إظهار شدَة الحبّ أو الحزن، مثال شدة الحب:

قِفي يا أميمَ القلب نقرا تحية ... ونَقضي الهوى ثم افعلي ما ما بَدا لك

ومثال شدّة الحزن:

أريقي الدَّمْعَ واجتنبي الهُجُوعا ... وصُوني شَمْلَ وَجْدِك أن يضيعا

١٣- **الاعتبار**: كقوله تعالى: ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾ (الأنعام: ٩٩).

١٤- **التعجُّب**: كقوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ (الإسراء: ٤٨).

١٥- **الامتنان**: كقوله تعالى: ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا﴾ (الطور: ١٦).

ومهما يكن من أمر فإن هذه الأغراض قد يتداخل بعضها في بعض، وهي ليست على سبيل الحصر، فهناك أغراض أخرى يمكن إدراكها والكشف عنها، من سياق الكلام وقرائن الأحوال في النص، كالنّدب، والتكذيب، والتسخير، والتسليم، والإكرام، والإنذار.

أسئلة التقويم الذاتي

(١) عرّف كُلاً من:

الإنشاء: ______________________________

الإنشاء الطلبي: ______________________________

الإنشاء غير الطلبي: ______________________________

(٢) حدِّد المقصود بالأمر اصطلاحا.

____

____

(٣) وضّح أهم صيغ الأمر مقرونة بأمثلة دالّة.

____

____

____

____

(٤) ما أهم الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر؟

____

____

____

____

____

____

تدريبـــــات

التدريب الأول:

بين صيغ الأمر وما يُراد بها في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفَّنا مع الأبرار﴾ (آل عمران: ٩٣).

صيغة الأمر: ________________________

ما يراد بها : ________________________

٢- وقال تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿قالوا يا نوحُ قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ (هود: ٣٢).

صيغة الأمر: ________________________

ما يراد بها : ________________________

٣- وقال تعالى: ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا× قل كونوا حجارة أو حديدا﴾ (الإسراء: ١٧-١٨).

صيغة الأمر: ________________________

ما يراد بها : ________________________

٤- وقال البحتري مادحا:

فاسلم أمير المؤمنين مُمتّعاً بتتابـــع الآلاء والإنعـامِ

صيغة الأمر: ________________________

ما يراد بها : ________________________

٥- وقال الشاعر القروي:

جودوا على صاحب المليون عن عذله؛ فأشدُّ الفاقةِ الطَّمعُ

صيغة الأمر: ________________

ما يراد بها : ________________

وقال عنترة العبسي:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

صيغة الأمر: ________________

ما يراد بها : ________________

٦- وقال آخر:

أروني بخيلا طال عُمراً ببخله وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

صيغة الأمر: ________________

ما يراد بها : ________________

٧- وقال المتنبي:

عش عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنودِ

صيغة الأمر: ________________

ما يراد بها : ________________

٨- وقال جرير في الفرزدق:

خذوا كحلا ومجمرة وعطرا فلستم يا فرزدق بالرجالِ

صيغة الأمر: ________________

ما يراد بها : ________________

٩- وقال أبو العتاهية:

واخفض جناحك إن مُنحت إمارة   وارغب بنفسك عن ردى اللذاتِ

صيغة الأمر: ________________________________

ما يراد بها : ________________________________

التدريب الثاني:

علِّل خروج الأمر في الأمثلة الآتية إلى: الرّجاء، والتعجيز، والتسوية، والالتماس، والإرشاد، والتمني على الترتيب:

١- قال المتنبي مخاطبا سيف الدولة:

أجزني إذا أنشدتُ شعرا فإنما   بشعري أتاك المادحون مُردَّدا

ودَعْ كل صوت غير صوتي فإنما   أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

التعليل: ________________________________

____

٢- قال تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾

٣- قال تعالى: ﴿اصبروا أو لا تصبروا﴾

٤- وقال البارودي:

يا نديميَّ من (سرنديب) كُفّا   عن ملامي وخلّياني لما بي

التعليل: ________________________________

____

٥- وقال الشاعر:

أحسنْ إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

التعليل: ______________________________

____

٦- وقال امرؤ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ بصُبحٍ وما الإصَباحُ منك بأمثلِ

التعليل: ______________________________

التدريب الثالث:

بيّن موقع الأمر والأغراض البلاغية التي حققها في ما يأتي:

١- قال يزيد بن معاوية:

فيا ربّ، سوِّ الحبّ بيني وبينها يكون كفافاً لا عليَّ ولا ليا

٢- قال الشريف الرضي:

يا راكبان قِفا لي واقْضيا وطري وخبِّراني عن نجد بأخبار

٣- قال الشاعر:

شاور سِواك إذا نابتك نائبةٌ يوماً وإنْ كنتَ من أهل المشورات

٤- قال الحطيئة:

تَنحَّيْ فاجلسي مِنّا بعيداً أراحَ اللهُ مِنكِ العالمينا

٥- قال ابن الدمنية:

أبلغ أميمة أني لستُ ناسيها ولا مُطيعاً بظهر الغيب واشيها

الوحدة الرابعة

الإنشاء

ب - النّهي

الوحدة الرابعة

الإنشـــاء

ب - النّهي

وهو في معناه الوضعي، أي في المستوى الاعتيادي من اللغة (طلب الكفّ عن الفعل تحريماً أو كراهة على وجه الاستعلاء)[1] . ويذكر صاحب (الطّراز) مثالا لهذا قول الله تعالى: ﴿ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ (الانعام: ١٥١) وقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ (الإسراء: ٣٤) إلى غير ذلك من المناهي الشرعية؛ فإنها دالة على المنع والتحريم[2] .

وله صَيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ (لا) الناهية الجازمة على نحو ما مرَّ بنا آنفا.

وللنهي صيغ مجازية تخرج عن معنى النهي الحقيقي إلى معان أخرى تعرف من السياق وقرائن الأحوال منها: الدعاء، والرجاء، والالتماس، والتمني، والنصح والإرشاد، والتوبيخ، والتحقير، والتيئيس، وبيان العاقبة، والتهديد.

١- **الدّعاء**: ويصدر من الإنسان إلى الله - جلَّ شأنه - نحو قوله تعالى على لسان من يريد الدعاء: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً[3] كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ (البقرة: ٢٨٦).

---

(١) السيوطي، عقود الجمان، ص٥٦ .

(٢) انظر: يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، ٣/ ٢٨٥ .

(٣) الإصر: الحمل الثقيل والمقصود التكاليف الشاقة.

٢- **الرّجاء**: ويصدر من شخص إلى آخر أعلى منه منزلةً وشأنا، نحو قول النابغة الذبياني معتذرا إلى النعمان بن المنذر:

فلا تتركـنِّي بالوعيـد كـأنَّني   إلى الناس مطليٌّ به القارُ أجربُ

٣- **الالتماس**: ويصدر من شخص إلى آخر يساويه قدراً ومنزِلة، نحو قوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى: ﴿قال يا ابن أمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ (طه: ٩٤).

وكقول محمود غُنيم لمن يساويه قدرا:

لا تحسبنّي مُحبّاً يشتكـي وَصَباً   أهونْ بما في سبيل الحب أهواه

٤- **التمنّي**: ويوجّه إلى من لا يعقل، نحو قول عبد العزيز عتيق:

إيه يا طـيرُ لا تضـنّ بلحنٍ   يُنقذ النفس من هموم كثيرة

٥- **النُّصح والإرشاد**: ويصدر عن حكيم أو مجرّب إلى مَن يودّ توجيهه ونُصحه، نحو قول خالد بن صفوان: (لا تطلبوا الحاجات في غير حينها، ولا تطلبوها من غير أهلها).

وقول حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية تُخاطب بنيها:

فلا تكلوني للزمـان، فإنني   أخاف عليكم أن تحين وفاتي

٦- **التوبيخ والتأنيب**: ويدور حول أمر يشين الإنسان ولا يليق أن يصدر عنه، نحو قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾.

وقول المتنبي:

لا تحسب المجد تمـرا أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

٧- **التحقير**: ويعني السخرية من المخاطب والتقليل من شأنه وقدراته، نحو قول أبي ماضي:

يا أخي لا تملْ بوجهك عني   ما أنا فحمة ولا أنت فرقـد

وقول آخر:

لا تطلب المجدَ إنّ المجدَ سُلَّمُه صعبٌ وعش مستريحا ناعم البالِ

٨- **التيئيس**: ويوجّه إلى شخص يهمُّ بفعل أمر لا يقوى عليه، نحو قوله تعالى: ﴿لا تعتذروا اليوم قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ (التحريم: ٧).

وقول الشاعر:

لا تطلب المجد واقنع فمطلبُ المجدِ صعبُ

٩- **بيان العاقبة**: كقوله تعالى: ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (آل عمران: ١٦٩) أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت.

١٠- **التهديد**: ويوجّه إلى مَن هو دون المتكلم، كقولك لمن هو دونك: (لا تُقلع عن عنادك).

أسئلة التقويم الذاتي

١- وضّح المقصود بالنهي اصطلاحا.

٢- اذكر صيغة النهي الحقيقية مقترنة بمثال.

٣- عدد أهم الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي.

تدريبـــــات

التدريب الأول:

بيّن صيغة النهي والمراد منها في كل آية من الآيات الآتية:

١- قال تعالى على لسان صالح عليه السلام لقومه: ﴿ولا تطيعوا أمرَ المسرفين﴾ (الشعراء: ١٥١).

صيغة الأمر : ____________________

ما يراد منها : ____________________

٢- قال تعالى على لسان من يدعو: ﴿ربَّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتّنا﴾ (آل عمران: ٨)

صيغة الأمر : ____________________

ما يراد منها : ____________________

٣- قال تعالى: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ (ن: ٦٧).

صيغة الأمر : ____________________

ما يراد منها : ____________________

٤- قال تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الله غافلا﴾ (إبراهيم: ٤٢).

صيغة الأمر : ____________________

ما يراد منها : ____________________

٥- قال تعالى: ﴿ولا تمدنّ عينيك...﴾ (الحجر: ٨٨).

صيغة الأمر : ____________________

ما يراد منها : ____________________

٦- قال تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تسؤكم﴾ (المائدة: ١٠١).

صيغة الأمر: ______________________

ما يراد منها: ______________________

٧- قال الشاعر:

لا تنهيانِ عن البكاء فإنّه يُطفي لهيبَ الجرحِ في الأعماق

صيغة الأمر: ______________________

ما يراد منها: ______________________

٨- قال أحمد شوقي:

لا تسمعوا للمرجفين وجهلهم فمصيبة الإسلام مِن جُهَّاله

صيغة الأمر: ______________________

ما يراد منها: ______________________

٩- قال الشاعر:

ولا تجلس إلى أهْلِ الدّنايا فإنّ خلائقَ السّفهاء تُعدي

صيغة الأمر: ______________________

ما يراد منها: ______________________

١٠- قال الشاعر:

انظر إليهم ولا تعجبكَ كثرتُهم فإنّما النّاس قلّوا كلّما زادوا

صيغة الأمر: ______________________

ما يراد منها: ______________________

التدريب الثاني:

بين صيغة النهي والمعاني المستقاة من أسلوب النهي في ما يأتي:

١- قال الطغرّائي:

لا تطمحنَّ إلى المراتب قبل أن تتكامل الأدواتُ والأسبابُ

٢- وقال إبراهيم طوقان:

ولا تشكُ الزمان فما شكا إلا الكسول

٣- وقال أبو نواس:

لا تبكِ ليلى ولا تطرب إلى هند واشرب على الورد من حمراء كالوردِ

٤- وقال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

٥- وقال الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

٦- وقال الإمام الشافعي:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس أَلسنُ

٧- قال ابن زيدون لولاّدة:

لا تحسبوا نأيكم عنّا يُغيّرنا إذ طالما غيَّر النأيُّ المحبِّينا

٨- قال أبو نواس:

يا ناقُ لا تسأمي أو تبُلغيَ مَلِكاً تقبيلَ راحتِهِ والرُّكْنِ سيَّان

٩- قال الشاعر:

إذا نطق السَّفيهُ فلا تُجبْهُ فخيرٌ من إجابته السُّكوتُ

الوحدة الخامسة

الإنشاء

ج - الاستفهام

الوحدة الخامسة

الإنشاء

ج - الاستفهام

وهو في معناه الوضعي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، بإحدى أدوات الاستفهام المعروفة ويحتاج إلى جواب، ولكنه في الأبنية الفنية يستغني عن الجواب فيبقى مفتوحا ليُلقي في ذهن المتلقي معاني شتى غير الاستفهام الحقيقي. وأدواته إحدى عشرة أداة: حرفان؛ هما: الهمزة وهل، وتسعة أسماء؛ هي: من، وما، ومتى، وأين، وأيّان، وأنّى، وكيف، وكم، وأيّ.

ويذكر القزويني هذه الأدوات، فمنها:

أ - ما يكون لطلب التصديق، وأداته هل؛ والتصديق هو إدراك النّسبة بين أمرين أي تعيينها؛ ففي قولك: هل تحب القراءة؟ لا تستفهم عن مفرد (القراءة)، وإنما يكون استفهامك عن الحكم الذي هو إثبات حبك للقراءة.

ب- ما يكون لطلب التصوّير، وأدواته: ما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنىّ، ومتى، وأيّان. والتصوّير هو إدراك المفرد، أي تعيينه؛ ففي قولك: ما القسورة؟ فيقال لك: الأسد.

ج - ما يكون لطلب التصديق ولطلب التصور وأداته الهمزة.

ولا شك في أن هذه الأدوات تستعمل في الاستفهام الحقيقي، وفي غير ذلك من المعاني، تأتي بحسب ما يناسب المقام[1].

---

(١) انظر: القزويني، الإيضاح، ص ٨١ .

وهذا يعني أن الاستفهام نفسه ربما خرج عن معناه الحقيقي، وهو طلب المعرفة إلى معان أخرى يدل عليها السياق.

الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام

١- **التعجب**: ومثاله قوله تعالى: ﴿كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ (مريم: ٢٩). ويقترن بالتوبيخ نحو قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (البقرة: ٢٨)، وبالاستهزاء نحو قوله تعالى: ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ (الأنبياء: ٣٦)؛ وبالإنكار نحو قوله تعالى: ﴿وقالوا أءذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ (الإسراء: ٤٩).

ومن أمثلة التعجب قول المتنبي وقد أصابته الحُمّى:

أبنت الدهــر عنــدي كل بنت ... فكيف وصلتِ أنتِ من الزحامِ؟

٢- **الاستبطاء**: وهو عدّ الشيء بطيئا في زمن انتظاره نحو قوله تعالى حكاية عن قول الرسول والمؤمنين ﴿متى نصر الله﴾ (البقرة: ٢١٤).

٣- **التقرير**: وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، على أن يكون المقرر به تاليا لهمزة الاستفهام فتقول: أذهبت؟ (الفعل كان منه)، وتقول: (أأنت ذهبت؟ (نقرر أنه الفاعل). ومثاله قوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ (الشرح: ١)، وقوله تعالى على لسان قوم إبراهيم: ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ (الأنبياء: ٦٢)؛ فهُم يريدون أن يقرروه بأنه الفاعل.

٤- **التمني**: وذلك عندما يكون السؤال مُوجّها إلى من لا يعقل. ومن أمثلته قول الخنساء:

أعينيَّ جــودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى؟

وقول علي بن جَبَلة (العكوّك):

هل بالطلولِ لسائلٍ ردّ؟ أم هل لها بتكلّم عهدُ؟

٥- **التعظيم**: وذلك عندما يستعمل الاستفهام في الدلالة على ما يتحلى المسؤول عنه من صفات حميدة كالشجاعة والكرم ومن أمثلته قول طرفة بن العبد:

إذا القوم قالوا: من فتى؟ خلت أنني دُعيتُ، فلم أكسل ولم أتبلَّد

وقول العرجي:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا؟ ليومِ كريهةٍ وسَداد ثغر؟

٦- **التحقير**: وذلك عندما يستعمل الاستفهام في الدلالة على ضآلة المسؤول وصغر شأنه. ومن أمثلته: قوله تعالى على لسان الكافرين: ﴿أهذا الذي يذكرَ آلهتكم﴾ (الأنبياء: ٣٦).

وقول المتنبي في كافور الإخشيدي:

من أيّة الطرق يأتي مثلك الكرم؟ أين المحاجمُ يا كافور والجَلَمُ؟[١]

٧- **الاستبعاد**: للدلالة على استبعاد السائل للمسؤول عنه، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿أنّى لهم الذكرى وقدّ جاءهم رسول مبين﴾ (الدخان: ١٣).

وقول المتنبي:

وما قَتَلَ الأحرارَ كالعفو عنهمُ ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا؟

٨- **الإنكار**: للدلالة على أن المُستفهم عنه أمر منكر عُرفا أو شرعا. ويأتي على وجهين:

أ - تكذيبي بمعنى النفي: أي (لم يكن) إن كان الفعل ماضيا، نحو قوله تعالى: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا﴾ (الإسراء: ٤٠)

(١) قيل إن كافور كان عبدا لحجام بمصر ثم اشتراه الإخشيد، ثم أصبح حاكما.

وبمعنى لا يكون إن كان الفعل مضارعا، نحو قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام عندما دعا قومه إلى التوحيد وكذّبوه: ﴿قال يا قوم: أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعُمّيت عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ (هود:٢٨). ويقع المنكر بعد همزة الاستفهام.

ب- توبيخي: بمعنى ما كان ينبغي إن كان الفعل ماضيا نحو قولك لمن عصى ربه أعصيْتَ ربك؟. وبمعنى لا ينبغي إن كان مضارعا نحو: أتعصي ربك؟ لمن هو واقع في المعصية.

٩- **التهكم**: للدلالة على السخرية والاستهزاء. ومن أمثلته: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون﴾ (الصافات: ٩١).

١٠- **التسوية**: لتأدية معنى مجازي بليغ، نحو قوله تعالى: ﴿إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ (البقرة: ٦).

١١- **الوعيد**: ويسميه بعض البلاغيين التهديد، ومنه قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ (الفجر: ٦)، وقوله تعالى: ﴿ألم نُهلك الأولين﴾ (المرسلات: ١٦).

١٢- **التهويل**: للدلالة على التفظيع والتفخيم، ومنه قوله تعالى: ﴿القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة﴾ (القارعة: ٣،٢،١)

١٣- **التشويق**: لتوجيه المخاطب إلى أمر وتشويقه إليه، نحو قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (الصف: ١٠-١١).

١٤- **الأمر**: للدلالة على معنى الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿فهل أنتم مُنتَهون﴾ (المائدة: ٩١). أي انتهوا، وقولك لزميلك: هو أنتَ مُتَّعظ؟ أي: اتعظ.

١٥- **النهي**: للدلالة على معنى النهي، نحو قوله تعالى: ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه﴾ (التوبة: ١٣). أي لا تخشوهم بل اخشوا الله.

ومنه قول الشاعر:

أتقـــول: أُفٍّ للتـــي   حملتك ثم رعتك دهراً؟

أي لا تقل أفٍّ لأمك

١٦- **التكثير**: كقول المعرّي:

صاحِ هذي قبورنا تملأ الرُّحب   فأين القبور من عهد عادِ

١٧- **العرض**: للدلالة على طلب الشيء بلين ورفق. ومن أدواته ألاَ وأمَا، وتدخلان على الجملة الفعلية، نحو قوله تعالى: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ (الأعراف: ٧٩).

وقول الشاعر:

أما تُضيفُ لمـــا أسديت من نِعَم   فضل المعونة في اللأواء والمحن؟[1]

١٨- **التحضيض**: للدلالة على طلب الشيء بحثّ، ومن أدواته لولا ولوما، وهلاّ، وألاّ، وتدخل على جملة فعلية، نحو قوله تعالى: ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾ (الحجر: ٧) وهو تحضيض يفيد الأمر.

وقد يفيد اللوم والتوبيخ عند الدخول على فعل ماضٍ، نحو قولك للمقصّر: هلاّ درست؟ ولمن جاء متأخرا: هلاّ حضرت مبكرا؟

---

(١) اللأواء: الشدّة.

بيْن الهمزة وهل

أ - أحكام الهمزة:

- **تستعمل لطلب التصوّر**، مثل: أشعراً حفظت أم نثراً؟

ويليها المسؤول عنه مباشرة، ويجب أن يُذكر بعدها المعادل بعد "أم". ويكون الجواب بذكر أحد الشيئين المطلوب تعيين أحدهما، دون استعمال أحد أحرف الجواب.

- **تستعمل لطلب التصديق، إيجابا وسلبا**. ولا نذكر بعدها "أم" ولا المعادل، مثل:
  - أتحب السباحة؟ (إيجابا)
  - أليس الطالبان ناجحين؟ (سلبا)

  والجواب عنهما هو:
  - نعم، أحب السباحة. (الإثبات)
  - لا، لا أحب السباحة. (النفي)
  - بلى، الطالبان ناجحان. (الإثبات)
  - نعم، ليس الطالبان ناجحين (النفي)

ب - أحكام هل:

- **تأتي للتصديق**، ولا نذكر بعدها "أم" ولا المعادل، مثل: هل سافر أخوك؟

  والجواب عنها هو:
  - نعم، سافر أخي (الإثبات)
  - لا، ما سافر أخي (النفي)

ملحوظة: إذا وردت بعدها "أم"، فتأتي بمعنى "بل"، نحو قوله تعالى: ﴿هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾

أو تكون منقطعة نحو قول مالك بن الرّيب:

ألا ليت شعـــري هل تغيَّرت الرّحى؟

رحى الحرب أم أضحت بفلج كما هيا

- **تدخل على الفعل المضارع فتخلّصه للاستقبال.**
- **لا تدخل على الشرط، ولا على المضارع المنفي.**

أما بقية أدوات الاستفهام فهي:

١- مَنْ: للاستفهام عن العاقل، مثل: مَنْ ألقى المحاضرة؟

٢- ما: لغير العاقل، مثل: ما الكتاب الذي قرأته؟

٣- متى وأيّان: للزمان، مثل: متى السفر؟، أيّان تثمر هذه الشجرة؟

٤- أين وأنّى: للمكان، مثل: أين تجلس؟، أنّى أقمت تلك الخيمة؟

٥- كيف: للحال، مثل: كيف جئت؟، كيف أنت؟

٦- كم: للعدد، مثل: كم كتابا قرأت؟

٧- أي: يُستفهم بها عن الأشياء السابقة، بحسب ما بعدها، مثل: أيُّ رجل جاء؟، أيَّ كتاب قرأت؟، أيَّ يوم سافرت؟

أسئلة التقويم الذاتي

١- ما الاستفهام؟ وما أدواته؟

٢- مَنْ مِنَ العلماء تحدّث عن الاستفهام؟

٣- اذكر بعض الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام.

تدريبـــــات

التدريب الأول:

أ - حدّد أداة الاستفهام وبين الغرض البلاغي من الاستفهام في الآيات الكريمة الآتية:

١- قال تعالى: على لسان سليمان عليه السلام: ﴿ما لي لا أري الهدهد﴾ (النمل: ٢٠).

أداة الاستفهام : ____________________

الغرض البلاغي: ____________________

٢- قال تعالى: ﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾ (الضحى: ٦).

أداة الاستفهام : ____________________

الغرض البلاغي: ____________________

٣- قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعلمون﴾ (الصافات: ٩٥).

أداة الاستفهام : ____________________

الغرض البلاغي: ____________________

٤- قال تعالى: ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ (الأنبياء: ١٠٩).

أداة الاستفهام : ____________________

الغرض البلاغي: ____________________

٥- قال تعالى: ﴿قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخُلد ومُلك لا يبلى﴾ (طه: ١٢٠).

أداة الاستفهام : ____________________

الغرض البلاغي: ____________________

٦- قال تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾ (سبأ: ١٧).

أداة الاستفهام : ______________________

الغرض البلاغي: ______________________

٧- قال تعالى: ﴿أغير الله تدعون﴾ (الأنعام: ٤٠).

أداة الاستفهام : ______________________

الغرض البلاغي: ______________________

٨- قال الشاعر:

أين الرواية، بل أين النجـــوم وما   صاغوه من زُخرف فيها ومن كذب؟

أداة الاستفهام : ______________________

الغرض البلاغي: ______________________

٩- قال المتنبي في الحمّى:

أبنتَ الدهــر عــندي كلُّ بنتٍ   فكيف وصلتِ أنتِ من الزحام؟

أداة الاستفهام : ______________________

الغرض البلاغي: ______________________

١٠- قال أبو البقاء الرندي في رثاء الأندلس:

فاسأل بلنسيةً ما شأنُ مرسيةٍ؟   وأين شاطبة أم أين جيّانُ؟

أداة الاستفهام : ______________________

الغرض البلاغي: ______________________

١١- قال أبو نواس:

إذا لم تَزرْ أرضَ الخصيب ركابُنا   فأيُّ فتى بعـــد الخصيب تزور؟

أداة الاستفهام : ______________________

الغرض البلاغي: ______________________

التدريب الثاني:

ماذا يُراد بالاستفهام في الأبيات الآتية:

١- قال أحمد الصافي النّجفي:

منذ الطفولة بي سُقْمٌ وإعياءُ   حتّام أبقى وقد مات الأصحّاء؟

المراد: ____________________

٢- قال حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية:

أنا البحر في أحشائه الدر كامنٌ   فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

المراد: ____________________

٣- قال أحمد شوقي:

ما أنتِ يا دنيا أرؤيا نائم   أم ليل عُرسٍ أم بساط سُلاف؟

المراد: ____________________

٤- وقال يخاطب أصحاب الأحزاب:

إلا مَ الخُلفُ بينكم إلا ما؟   وهذي الضجة الكبرى علاما؟

المراد: ____________________

٥- وقال المتنبي:

وهل تُغني الرّسائلُ في عدوٍّ   إذا ما لم يكنَّ ظُباً رقاقا؟[1]

المراد: ____________________

---

(١) الظبا: جمع ظُبَة وهي حد السيف.

التدريب الثالث:

استخرج أدوات الاستفهام واذكر استعمال كل واحد منها:

١- قال تعالى: ﴿فأيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن إنْ كنتم تعلمون﴾ (الأنعام: ٨١).

أداة الاستفهام واستعمالها: ______________________________

٢- قال تعالى: ﴿الحاقّةُ * ما الحاقَّة * وما آدراك ما الحاقة﴾ (القارعة: ١-٣).

أداة الاستفهام واستعمالها: ______________________________

٣- قال تعالى: ﴿فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾ (البقرة: ٢٢٣)

أداة الاستفهام واستعمالها: ______________________________

٤- قال تعالى: ﴿أنّى لك هذا﴾ (آل عمران: ٣٧).

أداة الاستفهام واستعمالها: ______________________________

الوحدة السادسة

الإنشاء

د - التمني   هـ - النداء

الوحدة السادسة

الإنشـــاء

د - التمني هـ - النداء

التمنّي

التمني في أصل الوضع، أي في المستوى الاعتيادي للغة (طلب حصول شيء على سبيل المحبة)، ولكن هذا الشيء المحبوب لا يُرجى حصوله: إمّا كونه مستحيلا، وإما كونه غير ميسور؛ فالمستحيل في مثل قول الفرزدق:

فيا ليتنا كنا بعيرين لا نَرِدْ على منهلٍ إلا نُشَلُّ ونُقذفُ
كلانا به عَرٌّ يُخاف قِرافه على الناس مَطليٌّ المساعر أخشَفُ[1]

وأما غير الميسور ففي مثل قوله تعالى: ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ (القصص: ٧٩).

وتدل (ليت) في وضعها اللغوي على التمني، وقد تستعمل أدوات أخرى لغرض بلاغي هي: (هل) و(لعلّ) و(لو) فالغرض البلاغي من (هل) و(لعل) هو إبراز المستحيل في صورة الممكن القريب الحصول لإفادة معنى الحسرة - كما في قوله تعالى: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ (الأعراف: ٥٣) أو

(١) العر: الجرب؛ القِراف: المخالطة؛ المساعر: أصول الفخذين والإبطين؛ أخشف: يابس الجلد من الجرب.

اللوعة كما في قول قيس ليلى:

أسربَ القطا هل من يعير جناحه لعلّي إلى من قد هويتُ أطيرُ

فاستعارة أجنحة يطير ويُحلّق بها أمر مستحيل، إلا أن رغبة الشاعر الجامحة في اللقاء جعلت الأمر يبدو ممكنا.

والغرض البلاغي من استعمال (لو) في التمني هو إبراز المتمنَّى في صورة الممنوع عزيز المنال، في مثل قوله تعالى: ﴿فلو أنّ لنا كرّةً فنكون من المؤمنين﴾ (الشعراء: ١٠٢). ومن الشعر قول مسلم بن الوليد:

واهاً لأيام الصبا وزمانــــه لو كان أسعف بالمقام قليلا

وإذا كان الأمر المحبوب مما يُرجى حصوله كان ترجّياً، وألفاظه: (لعل) و(عسى) نحو قوله تعالى: ﴿لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ (الطلاق: ١) وقوله تعالى: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده﴾ (المائدة: ٥٢).

ومن الشعر قول قيس لبنى:

وإني لأهوى النّوم في غير حينه لعــلّ لقــاءً في المنــام يكونُ

وعلى أية حال فإن التمني والترجّي كليهما "خير ما يحتضن معاناة الشاعر الذي يهرع إلى الهروب من الواقع ليعيش في عالم الأماني والخيال"؛ [1] ليجد فيه ملاذا، على نحو ما نرى عند الشعراء العذريين في الأدب القديم، والشعراء الرومانسيين في الأدب الحديث.

(١) سناء البياتي، نحو منهج جديد في البلاغة و النقد، ص ٦٩ .

تدريبـــــات

التدريب الأول:

عيّن أداة التمني مبيّنا معنى التمنّي في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا﴾ (النبأ: ٤٠).

أداة التمنّي : ________________

معنى التمنّي: ________________

٢- وقال تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطّلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ (غافر: ٣٦).

أداة التمنّي : ________________

معنى التمنّي: ________________

٣- وقال تعالى: ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسيا منسيّا﴾ (مريم: ٢٣).

أداة التمنّي : ________________

معنى التمنّي: ________________

٤- وقال قيس لبنى:

ألا ليت لُبنى في خلاء تزورني   فأشكو إليها لوعتي ثم ترجـع

أداة التمنّي : ________________

معنى التمنّي: ________________

٥- وقال قيس ليلى:

لعل خيال العامرية زائر   فيسعد مهجور ويُسعَدَ هاجر

أداة التمنّي : ________________

معنى التمنّي: ________________

٦- وقال جرير:

ولّى الشباب حميدة أيامه   لو كان ذلك يُشترى أو يرجعُ

أداة التمنّي : ________________

معنى التمنّي: ________________

التدريب الثاني:

عيّن أداة التمني وبيّن المعاني الأصلية المستفادة والصيغ المجازية التي تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال في ما يأتي:

١- قال الشاعر:

أيا منزلي سلمى سلامٌ عليكما   هل الأزمنُ اللائي مضينَ رواجعُ

٢- وقال آخر:

فليت الشامتين به فَدَوْهُ   وليت العمرَ مُدَّ له فطالا

٣- قال تعالى: ﴿لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء﴾ (النور: ١٣).

٤- وقال أبو فراس الحمداني:

أقولُ وقد ناحت بقربي حمامة   أيا جارتا لو تشعرين بحالي؟!

٥- قال تعالى: ﴿لوما تأتينا بالملائكة إن كُنتَ من الصادقين﴾ (الحجر: ٧).

النـــداء

وهو في أصل الوضع طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف النداء[1] وحمله على الإصغاء إلى خبر أو طلب يليه. وهو في المستوى النحوي للعاقل الذي يعي الخبر أو الطلب اللذيْن يعقبان النداء.

وقد يُنّزل البعيد منزلة القريب، وعندئذ يُنادى بـ (الهمزة) أو (أي) لغرض بلاغي، إشارة إلى أنه حاضر في الذهن لا يغيب عن البال.

ومن ذلك قول أبي فراس الحمداني، وهو في الأسر ينادي سيف الدولة:

أسيف الهدى وقريع العرب إلامَ الجفا وفيــمَ الغضب؟

كما قد يُنَّزل القريب منزلة البعيد، وعندئذ يُنادى بـ (أيا وأخواتها) لغرض بلاغي، إشارة إلى علو مرتبته، أو انحطاط منزلته أو غفلته وشرود ذهنه.

فمثال على المرتبة قوله تعالى: ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ (مريم: ٤٤)؛ فالخطاب مُوجّه من إبراهيم عليه السلام إلى أبيه.

ومثال انحطاط المنزلة قول ابن الرومي:

وجهك يا عمرو فيه طول وفي وجوه الكلابِ طولُ

ومثال الغفلة وشرود الذهن قول أبي العتاهية:

أيا من يُؤمّل طول الحياة وطول الحياة عليه خطر

إذا ما كبرت وبان الشباب فلا خير في العيش بعد الكبر

(١) وحروفه ثمانية، وهي نوعان:

أ - نوع لنداء القريب: الهمزة وأي.

ب- نوع لنداء البعيد: يا، وأيا، وهيا، و(آ) و(آي) و(واو). وتستعمل (يا) لنداء القريب والبعيد.

والبلاغيون يُخرجون النداء عن معناه الأصيل إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام؛ منها: الإغراء، والاستغاثة، والتعجب، والاختصاص، والتنبيه، والتحسر، والزجر، والندبة.

١- **الإغراء** : وهو إلزام المخاطب العكوف على ما يُحمد عليه؛ كقول عبدالعزيز عتيق:

يا بلادي اليوم فاستقبلي النو ... رَ، وعيشي طليقة يا بلادي

لم يعدْ فيك مأمل للأُلى كا ... نوا يعيشون عيشة الأوغادِ

لم يعدْ فيك مأربٌ للألى كا ... نوا يظنون أننا كالجمادِ

٢- **الاستغاثة**؛ كقول المتنبي:

واحرّ قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمي وحالي عنده سقم

٣- **التعجب**؛ كقول أبي العتاهية:

يا للشباب المرح التصابي؟ ... روائح الجنة في الشباب

٤- **الاختصاص**؛ مثل: بالعلم - أيها الشباب - يبني الناس الوطن.

٥- **التنبيه**؛ كقوله تعالى على لسان مريم عليها السلام: ﴿يا ليتني مِت قبل هذا﴾ (سورة مريم: الآية٢٣)

٦- **التحسُّر**؛ كقول ابن الرومي:

يا شبابي؛ وأين مني شبابي؟ ... آذنتني حباله بانقضابِ

لهف نفسي على نعيمي ولهوي ... تحت أفنانه اللدان الرّطابِ

٧- **الزّجر**؛ كقول جميل بثينة:

فيا قلبُ دعْ ذكرى بثينة إنها ... وإن كنتَ تهواها تضنٌّ وتبخلُ

فقد حقق الشاعر من خلال ذلك ما يريد أن يوحي به من تعلق شديد بمحبوبة تضنّ وتبخل.

٨- النُّدبة؛ كقول قيس لبنى:

فوا كبدي من شدة الشوق والأسى   وواكبدي إني إلى الله راجع

وهو أسلوب برع فيه الشعراء العذريون، إذ أوحوا من خلاله بحبهم المفجوع.

أسئلة التقويم الذاتي

١- ما التمنّي؟ وما حروفه؟

٢- عدّد الأغراض البلاغية التي يخرج إليها التمنّي.

٣- ما النداء؟ وما حروفه؟

٤- عدد الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء.

تدريبــــــات

التدريب الأول:

بيّن الغرض البلاغي الذي خرج إليه النداء في ما يأتي:

١- قال جميل بثينة:

فواحسرتا أن حيل بيني وبينها ... ويا حَيْنَ نفسي كيف فيك تحينُ[1]

٢- وقال قيس لبنى:

ألا يا قلبُ ويحك كن جليدا ... فقد رحلت وفات بها الذميل[2]

٣- وقالت عربية:

دعوتك يا بنيّ فلم تُجبني ... فرُدّت دعوتي يأساً عليًّا

٤- وقال عبد العزيز عتيق:

إلامَ يا قلبُ تستبقى مودّتهم ... وقد أذاقوك ألواناً من الوَصَبِ؟

٥- وقال المتنبي مخاطبا سيف الدولة:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي ... فيك الخصام وأنت الخصمُ والحكم

٦- وقال مروان بن أبي حفصة:

أيا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

---

(١) الحَيْن: الهلاك والمحنة.

(٢) الذميل: السير السريع اللين.

التدريب الثاني:

بيّن السبب البلاغي في خروج النداء على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد:

١- قال الفرزدق مخاطبا جريرا:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامع

السبب : ________________________

٢- وقال أبو الطيب في مدح كافور:

يا رجاءَ العيون في كل أرضٍ لم يكن غير أن أراك رجائي

السبب : ________________________

٣- وقال أبو العتاهية:

أيا من عاش في الدنيا طويلا وأفنى العمر في قيل وقال

هَبِ الدنيا تُقادُ إليك عفواً أليس مصير ذلك للزوال؟

السبب : ________________________

التدريب الثالث:

بيّن أدوات النداء والغرض الذي خرجت إليه صيغة النداء في ما يأتي:

١- قال الشاعر:

يا قلبُ حسبك ما قد ذقت من حرق يا قلب حسبك ما قد نلت من تعب

٢- وقال آخر:

فيا شجرَ الخابور ما لَكَ مُورقاً كأنّك لم تحزنْ على ابنِ طريف

٣- وقال المتنبي:

لك يا منازل في القلوب منازل   أقفرتِ أنت وهُنَّ منك أواهل

٤- وقال الشاعر:

فوا عَجباً كم يَدَّعي الفضل ناقصٌ   ووا أسفا كم يُظهرُ النَّقصَ فاضلُ

٥- وقال مروان بن أبي حفصة:

فيا قبَرَ مَعْنٍ كيف واريتَ جودَهُ   وقد كان منه البُّر والبحرُ مُترعا

٦- وفال ابن الرومي:

أريحانةَ العينين والأنف والحشا   ألا ليت شعري هل تغيّرت من بعدي؟

الوحدة السابعة

أحوال المسند والمسند إليه

أ - الحذف والذكر

الوحدة السابعة

أحوال المسند والمسند إليه

أ - الحذف والذّكر

الجملة وأجزاؤها

الجملة سلسلة من الكلمات تدل على معنى يحسن الوقوف عنده؛ وقد تكون اسمية أو فعلية. والجملة الإسمية هي التي تتكون من مبتدأ وخبر مثل: الطفل نائم، والجملة الفعلية تتكون من فعل وفاعل مثل: نام الطفل.

وللّغة العربية نظام في تأليف الجملة، يُراعي العلاقات المعنوية بين الكلمات، فإذا تجاوزه أحد أو اخترقه صارت جُمله ألفاظا مرصوفة لا تعبّر عن أية فكرة[1]. ولكل جملة ركنان هما، المسند والمسند إليه:

أ - **المسند:** ويسمّى المُخبر به (المحكوم به) ومواطنه هي:

١- الفعل التام كما في قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (الفاتحة: ٦).

٢- اسم الفعل، مثل: شتان الجد والإهمال.

٣- خبر المبتدأ المشتق عن الخبر مثل: أقائمٌ أنت بواجبك؟

٤- خبر إنّ وكان كما في قوله تعالى: ﴿إنّ الله غفور رحيم﴾ (آل عمران: ١٥٥). وقوله تعالى: ﴿ليكون للعاملين نذيراً﴾ (الفرقاء: ١).

---

(١) سناء البياتي، نحو منهج جديد في البلاغة والنقد، ص٤٢ .

٥- خبر المبتدأ : مثل القمر طالع.

ملحوظة: ما زاد من الكلمات في الجملة على المسند والمسند إليه يسمّى قيداً أو فضلة كالمفاعيل والتمييز، والحال، وأدوات شرط، والنفي، والجار والمجرور، والظروف، والتوابع.

ب- المسند إليه: ويسمى المخبر عنه (المحكوم عليه). ومواضعه هي:

١- المبتدأ الذي له خبر، مثل: العلم نور.

٢- ما كان أصله مبتدأ كما في قول كعب:

إنّ الرسول لنور يستضاء به مهنّد من سيوف الله مسلول

٣- الفاعل، مثل: نجح الطالبان.

٤- نائب الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصُّور نفخة واحدة﴾ (الحاقة: ١٣).

٥- مرفوع المبتدأ المشتق كما في قول الشاعر:

أمنجـــز أنتم وعـداً وثقت به أم اقتفيتم جميعاً نهجَ عرقوب

وهكذا يتقدم المسند إليه على المسند في الجملة الاسمية مثل: الولد يلعب، ويتقدم المسند على المسند إليه في الجملة الفعلية مثل: يلعب الولد، ويتقدم الفعل والفاعل على المفعول مثل: قرأ الطالب القصة، ويتأخر الحال عن صاحبه مثل: أقبل الرجل مبتسما. ولا شك في أن هذا النظام يحقق الغرض من اللغة وهو الإفهام وإيصال الفكرة إلى الآخر بيسر ووضوح، وقد يتجاوز ذلك إلى "خلق الصور وحالات التخيل والمفاجأة والتنغيم الذي يثير مختلف الأحاسيس عند المتلقي"[1]؛ ولهذا غير نظام الجملة، إذ تلحق المسند والمسند إليه اللذيْن يمثلان ركنيها أحوال من الذكر والحذف، أو التقديم والتأخير، أو التعريف والتنكير، أو التقييد، أو القصر، أو الخروج عن مقتضى الظاهر في المسند إليه وفي غيره وفي ما يأتي عرض لأهم هذه الأحوال.

---

(١) سناء البياتي، نحو منهج جديد في البلاغة والنقد، ص ٤٢ .

أولاً - الحذف

يُشكِّل الحذف رافدا من روافد الإبداع من خلال تنظيم الجملة وقد أحسّ عبد القاهر الجرجاني بأهميته إذ قال: (هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر)[1] .

أ - حذف المسند إليه:

يفيد حذف المسند إليه أغراضا كثيرة تزيد المعنى قوة وجمالا. والمسند إليه الذي يكثر حذفه هو: المبتدأ أو الفاعل، وفي ما يأتي أهم دواعي حذفهما.

دواعي حذف المسند إليه إذا كان مبتدأ:

١- الإيجاز في التعبير؛ نحو قوله تعالى: ﴿فأقبلت امرأته في صرّة فصكّت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ (الذاريات: ٢٩)، أي أنا عجوز عقيم.

٢- ضيق المقام عن إطالة الكلام إما لتوجع وإما لخوف فوات فرصة. فمن أمثلة التوجع قول الشاعر:

قال لي: كيف أنت؟ قلت: عليل ... سهــر دائــمٌ وحــزنٌ طويــل

أي قلت: أنا عليل.

ومن أمثلة انتهاز الفرصة حين تقول للصائد: غزال؛ أي هذا غزال.

٣- تيسير الإنكار عند الحاجة إلى الإنكار، نحو قولك في ذم شخص: كاذب، دون أن تحدد اسمه؛ في معرض الحديث عن الصدق.

---

١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١١٢ .

٤- تأكيد المدح أو الذم أو الترحمّ:

فمن أمثلة حذفه لتأكيد المدح قول كُثيّر عزَّة:

كريـــم يــؤول الراغبــون ببابـه إلى واسع المعروف جزل المواهبِ

ومن أمثلة حذفه لتأكيد الذم قول الأُقيشر الأسدي[1] في ذمّ ابن عَمٍّ له موسر سأله فمنعه، فشكاه إلى القوم وذمَّه، فوثب إليه ابن عمه ولطمه:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع

حريص على الدنيا مُضيع لدينه وليس لما في بيته بمضيع

يريد: هو سريع إلى ابن العم، وهو حريص على الدنيا وهو مضيع لدينه.

دواعي حذف المسند إليه إذا كان فاعلا: وهي نوعان:

لفظية:

١- الإيجاز، نحو قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ (النحل: ١٢٦) أي: بمثل ما عاقبكم المعتدي به.

٢- المحافظة على السجع في الكلام المنثور نحو قولهم: ﴿من طابت سريرته حُمدت سيرته﴾.

٣- المحافظة على الوزن في الكلام المنظوم نحو قول الأعشى:

عُلّقتها عَرَضاً وعُلّقت رجـــــلا غيري وعُلّق أخرى غيرها الرجلُ

فالفعل (علّق) بُني للمجهول ثلاث مرات، ولو ذُكر الفاعل لما استقام الوزن.

معنوية:

١ - ادّعاء تعينه، نحو قول حاتم الطائي:

---

١) هو المغيرة بن عبدالله، شاعر هجّاء، من أهل بادية الكوفة، إسلامي النشأة. (الأعلام: ٧/ ٢٧٧).

أماويّ لا يُغنـــي التراثُ عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فلم يذكر فاعل (حشرجت) وهو (النفس)، لأن اختصاص الحشرجة وضيق الصدر منوط بها. كما أن تاء التأنيث التي أُلحقت بالفعل زادتنا تأكيدا بأن النفس هي المقصودة.

٢- التكثير منه، نحو قول دريد بن الصِّمَّة:

يُغار علينا واتـــرين فيُشتفى بنا إن أُصبنا أو نُغير على وِتر

فقد حُذف الفاعل في ثلاثة مواضع من البيت حين يستعمل الأفعال المبنية للمجهول (يُغار) و(يُشتفى) و(أُصبنا). وهو لا يجهل الفاعل الحقيقي ولكنه لا يرغب في تحديد قبيلة بعينها وإنما يريد التكثير من الأعداء الذين يُغيرون عليهم ويشتفون منهم ويُصيبونهم.

ب - دواعي حذف المسند

يحذف المسند إذا كان خبرا أو فعلاً لدواعٍ منها:

١- **الاختصار والإيجاز**: نحو قوله تعالى: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ (التوبة: ٣) أي ورسوله بريء منهم؛ فقد حذف الخبر في الجملة الثانية لوجود قرينة تدل عليه، وهي الخبر في الجملة الأولى، وجاءت الجملة الثانية معطوفة عليها ونحو قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ (العنكبوت: ٦١)، أي: ليقولن خلقها الله. وقد جاءت الجملة المحذوفة المسند جوابا لسؤال.

٢- **ضيق المقام**، نحو قولك: خرجت فإذا العواصف، وسرتُ فإذا المطر. فالمفاجأة تمنعك من ذكر الخبر وتقديره: (شديدة) و(مُنهمر) وكلاهما مفهوم من سياق الكلام. وهذا حذف يُكسب الأسلوب قوة ويُضفي عليه جمالا.

تــــدريب

في الأمثلة الآتية مواضع حُذف فيها المسند أو المسند إليه، وضّحها ثم بيّن سبب الحذف وما أحدثه في المعنى من جمال:

١- قال تعالى: ﴿كلّا إذا بلغت التّراقي﴾ (القيامة: ٢٦).

٢- قال تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله﴾ (يونس: ٣١).

٣- قال تعالى: ﴿فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتّى توارت بالحجاب﴾ (ص: ٣٢).

٤- قال قيس بن الخَطيم:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

٥- وقال الأعشى:

إنَّ مَحَلاً وإنَّ مُرتحلا وإنّ في السَّفْرِ إذ مَضَوا مَهَلا

٦- وقال حسن عبد الله القرشي:

شاعرٌ يفتنُ في أنغامه ويصوغُ الدُّرَّ كالزهر النّدي
عبقريٌ ماردٌ في فنه لمسةُ الشُّهْبِ وفَوْحُ المعبدِ

٧- قال الشاعر إبراهيم الصولي:

سأشكر عَمْراً ما تراختْ منيتي أيادي لم تمننْ وإنْ هي جلّت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلَّت

٨- قال جرير يرثي زوجه:

لولا الحياء لهاجني استعبارُ ولزرت قبرك والحبيبُ يُزار

٩- قال لبيد يرثي أخاه:

لعمرك ما تدري الضواربُ بالحصى ولا زاجراتُ الطير ما الله صانعُ

	موضع الحذف	سبب الحذف
١		
٢		
٣		
٤		
٥		
٦		
٧		
٨		
٩		

ج - حذف المفعول به

يحذف المفعول به لدواع وأغراض بلاغية، شأنه في ذلك شأن المسند إليه والمسند، مما يُكسب التعبير قوة وجمالا، ويفيد من المعاني ما لا يفيدها ذكره ومن أهم هذه الدواعي والأغراض:

١- **الإيضاح بعد الإبهام**، نحو قوله تعالى: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون﴾، أي إن نشأ إغراقهم نغرقهم. فإنه لما قيل (إن نشأ) علم السامع أن هناك شيئا تعلّقت المشيئة الإلهية به لكنه خفي مبهم هو المفعول به المحذوف (إغراقهم)، فلما جيء بجواب الشرط (نغرقهم) صار بيّنا واضحا يقع في النفس.

وإذا كان فعل المشيئة والإرادة متعلقا بشيء غريب غير معهود فإن

المفعول به حينئذ لا يحذف كما في قول الشاعر أبي يعقوب الخريمي:

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته ... ولكنْ ساحـــة الصبر أوسع

فجواب الشرط (لبكيته) لا يوضح المفعول به (دماً) في حالة حذفه، ولهذا توجب ذكره ليتقرر معناه في نفس السامع.

٢- **إفادة التعميم مع الاختصار**، نحو قول الرسول (ﷺ): (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى دخولها؛ فالمفعول به معلوم لسبق الفعل (يدخلون)، وحذفه اختصارا يُضفي على التعبير جمالا، كما أنه يثير الانتباه إلى الفعل (أبى) ليسأل السامع: ومَن يأبى أن يدخل الجنة؟ فيقول الرسول (ﷺ) لمن سأله: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى.

وليس الشأن كذلك في قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ (الأحزاب: ٧٢)؛ فالفعل ليس مطلوبا لذاته ولكن مع مفعوله، بحيث يتبين أنهن أبين حمل الأمانة إشفاقا منها، وليس إعراضا عن العرض الإلهي، حاشا لله.

٣- **تنزيل الفعل المتعدي منزلة الفعل اللازم**، نحو قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ (البقرة: ٢٤٥)، والله يقبض الرزق ويبسطه؛ وحذف المفعول به أفاد إثبات الفعل للفاعل بحيث تتجه الأذهان إليه وتنحصر الأفكار فيه.

٤- **ادّعاء تعينه**، نحو قول أبي العتاهية:

إني تركت عـــواقب الدنيا ... فتركت ما أهوى لما أخشى

فقد استعمل الفعلين (أهوى) و(أخشى) دون أن يذكر مفعوليهما، وكأنه يريد أن يقول: تركت ما أهواه لما أخشاه، والضمير الأول يشير إلى ملذات الدنيا وفي حذفه اختصار جميل، ويشير الثاني إلى عذاب الله، وحذفه أدعى لتعّينه بحيث لا ينصرف ذهننا إلى شيء غيره.

٥- **مراعاة النَّسق والإيقاع** نحو قوله تعالى: ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى﴾ (الضحى:١-٣)، أي: وما قلاك، وفي حذفه مراعاة الفاصلة وإحداث حلية شكلية.

٦- **التعميم**، نحو قول طاهر الزمخشري[1]:

وخيرُ الجود بين الناس وُدٌّ   وأكرمُ من يصافحك الودودُ
متى أعطى نَعِمْتَ بخير وَرْدٍ   عذوبته المسرّةُ والخدودُ

فقد استعمل الفعل (أعطى) دون أن يذكر مفعوليه: أعطى مَنْ؟ وماذا أعطى؟ والمعنى المراد: متى أعطاك وُدّه نعمت بخير ورد؛ وقد أفاد حذف المفعولين التعميم، إذ هو يعطيك ويعطي غيره.

٧- **الاختصار أو الإيجاز**، نحو قوله تعالى: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ (الاحزاب: ١٤٢)؛ أي: أرني ذاتك.

وهذه مواطن يكون الحذف فيها أبلغ من الذِّكر. لما في ذلك من جمال وسحر بيان سواء على صعيد الشكل أو على صعيد المعنى.

---

(١) شاعر سعودي معاصر.

تـــدريب

عيّن مواضع حذف المفعول به في النصوص الآتية وبيّن رأيك في الأسباب البلاغية لذلك:

١- قال تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ (يونس: ٢٥).

٢- قال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: ٩).

٣- قال تعالى: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ (البقرة: ٢٥٣).

٤- قال تعالى: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ (النحل: ٩).

٥- قال تعالى: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى﴾ (طه: ١-٣).

٦- قال البحتري:

إذا أبعدتْ أبلتْ وإن قرّبتْ شَفَتْ ... فهجرانها يُبلي ولقيانها يشفي

٧- وقال أيضا:

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ ... دد والمجد والمكارم مثلا

٨- وقال محمد حسن فقي[1]:

يا موطن الأحرار إنك مَوْطِنٌ ... تقف الجبابر عند بابك خُشعا

نَصَرَتْكَ أملاكُ السماء وأنجبتْ ... أرباض غابك مَنْ أعزّ وأخضعا

٩- وقال آخر:

فلم يُبقِ مني الشوق غير تفكري ... فلو شئت أن أبكي بكيتُ تفكُّرا

---

١) شاعر سعودي معاصر.

١٠- وقال جميل بثينة:

وإن تكُ قد شطَّت نواها ودارها　　فإن النوى مما تُشتُّ وتجمعُ

فيا ربِّ حبّبني إليها وأعطني الـ　　ـمودّة منها أنت تعطي وتمنعُ

	موضع حذف المفعول	سبب الحذف
١		
٢		
٣		
٤		
٥		
٦		
٧		
٨		
٩		
١٠		

ثانياً - الذكـــــر

ذكر المسند والمسند إليه

إن حديثنا عن الحذف يسوقنا إلى الحديث عن الذِّكر، إذ هو الأصل، ولا ينبغي العدول عنه إلاّ في مواطن ترجِّح الحذف لغرض بلاغي، إذ ليس الإبداع مقصورا على الحذف، فكم من ذكْرٍ كان موطن التأثير في النصوص الأدبية! إذ يبقى المسند أو المسند إليه؛ ليَضيف إلى المعنى قيماً جمالية.

أ - **ذكر المسند إليه**: وأهم الدواعي والأغراض التي تُرجّح ذكر المسند إليه على حذفه هي:

١- **تقرير المعنى وإيضاحه في ذهن المخاطب**: نحو قوله تعالى: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ (البقرة: ٥) ففي تكرير اسم الإشارة (أولئك) زيادة تقرير وإيضاح لتميّز المؤمنين بالفلاح في الآخرة فضلا عن تميّزهم بالهدى في الدنيا.

٢- **بسط الكلام والإطناب فيه**، نحو قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي﴾ (طه: ١٨) فقد ذكر المسند إليه (هي) إظهار لجلال قدر الله وقربه منه؛ وذلك يبسط الكلام رغبةٍ منه في مناجاة ربه شرفا وفضلا. ثم نسمعه يقول: ﴿أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾ (طه: ١٨) وهو إجمال تقتضيه البلاغة بعد ذلك البسط.

٣- **التعظيم**: نحو قول محمد حسن فقي:

الله شاء بأن يكون منارة ... شمّاء بين مفاوزٍ وهضابِ

والله شاء بأن يكون مثابة ... للناس بعد تَفرّق وتبابِ

والله شاء لمصطفاه مكانة ... جلَّتْ برفعتها على الآرابِ

فالشاعر يكرر المسند إليه (لفظ الجلالة) في كل بيت إظهاراً لتعظيم قدر الرسول (ﷺ)، ولولا ذلك لاكتفى بذكر هذا اللفظ في البيت الأول دون بقية الأبيات.

٤- **التلذذ بذِكْر المسند إليه**، وذلك في كل ما يهواه المرء ويتوق إليه ويعتزّ به، نحو قول العقاد:

الحبُّ أن نصعد فوق الذُّرى   والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا   وأن نرى آلامنا أثرا

فإن لقوله (الحبُّ أن ...) وقع في النفس لا يحصل إلاّ من خلال الذكر، وقد زاده التكرار حلاوة وتلذذا.

٥- **التعبير عن الشكوى والعتاب**، نحو قول ابن الدُّمينة:

وأنت التي كلفتني دَلَجَ السُّرى   وجُون القطا بالجلهتين جثومُ[1]
وأنت التي قطَّعتِ قلبي حزازةً   وقرّفتِ جُرح القلب فهو كليمُ

فالشاعر يكرر ذكر المسند إليه وهو الضمير ("أنتِ) في كل بيت، مُوجِّها الخطاب إلى محبوبته، وهو في ذلك يشعرنا بحرارة العتاب ومرارة الشكوى.

٦- **إظهار الفخر**، نحو قول محمد بن علي السنوسي[2]:

أنا لا أعرف التراب ولا الطين   ولا ضمني من الأرض جُحرُ
أنا من عالم يعيش ويحيا   في سماء لها صفاء وطُهر

فالشاعر ذكر المسند إليه وهو الضمير (أنا) في كل من البيتين، في مقام الفخر بنفسه.

---

١) الدّلج: سير بعض الليل؛ السُّرى: سير الليل؛ الجون: التي يخالط سوادها حُمرة؛ الجلهتين: اسم مكان؛ قرّف الجرح: قشَرة قبل أن يبرأ.

(٢) شاعر سعودي معاصر.

ب - ذكر المسند:

المسند كالمسند إليه الأصل فيه الذكر، لا يُعدل عنه لغرض بلاغي يُسوّغ حذفه. أما الأغراض التي ترجّح ذكر المسند فهي:

١- **إيضاحه وتقريره في ذهن المخاطب**، نحو قوله تعالى: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيِ العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ (يس: ٧٨-٧٩).

فذكر المسند وهو الفعل (يُحيي) بعد السؤال الصادر ممن يشك في الفعل والفاعل على السواء، ويريد الاستفسار عنهما معا، وذكر الفعل هنا ضرورة بلاغية مؤكدة لإثبات معجزة الإحياء والقدرة على بث الحياة في العظام بعد أن صارت رميما، ثم إثبات هذه القدرة لله وإسناد المعجزة إليه.

٢- **التعريض بغباوة السامع وجهله**، نحو قوله تعالى: ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ (الأنبياء: ٦٢-٦٣).

فذكر المسند (فعله) جاء تعريضا بغباوة السائلين وبأن الدافع على تكسير الأصنام هو غيظ إبراهيم عليه السلام من كبير هذه الأصنام الذي يخصّونه بتعظيم أكثر.

٣- **إفادة أن المسند فعل أو اسم**: نحو قوله تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ (النساء: ١٤٢)، فقوله: ﴿يخادعون﴾ مسند فعلي يفيد التجديد والاستمرار مع دلالة على الزمان. وقوله: ﴿وهو خادعهم﴾ مسند اسمي يفيد الثبوت من غير دلالة على الزمان.

أسئلة التقويم الذاتي

١- ما الجملة؟ وما ركناها؟

٢- عدّد دواعي حذف المسند إليه إذا كان مبتدأ.

٣- عدّد دواعي حذف المسند إليه إذا كان فاعلا.

٤- عدّد دواعي حذف المسند.

٥- ما الأغراض البلاغية لحذف المفعول به؟

٦- ما دواعي ذكر كل من: المسند إليه والمسند؟

تـــدريب

في النصوص الآتية مواضع ذُكر فيها المسند أو المسند إليه، وضّحها مع بيان سبب الذكر وما أحدثه في المعنى من جمال:

١- قال تعالى: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾ (محمد: ١٦).

٢- وقال تعالى: ﴿يسألونك ماذا أُحِلَّ لهم قل أُحلّ لكم الطيبات﴾ (المائدة: ٤).

٣- قال ابن الرومي:

أنت المرجّى للتي رمتها ... أنت المرجى للتي خفتها

٤- قال جميل بثينة:

فوليتُ محزونا وقلت لصاحبي ... هو الموت إنْ بانَ الحبيب الموالفُ

٥- وقال الفرزدق:

أولئك ابائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

٦- وقال عمرو بن كلثوم:

بأنا المطعمون إذا قدرنا ... وأنّا المهلكون إذا ابتلينا

وأنا المانعون لما أردنا ... وأنا النازلون بحيث شينا

٧- وقال ابن الدمينة:

وإني لأستشفى وما بي نعسة ... وما ذاك إلا أن يُلِمَّ خيالكِ

وإني لأستسقي السحاب لأرضكم ... ويعجبني ما أحسن الله حالَكِ

٨- وقال مجنون ليلى :

بالله يا ظبياتِ القاعِ قُلن لنا ... ليلايَ منكنَّ أم ليلى من البشرِ

	المسند	المسند إليه	سبب الذكر	المعنى البلاغي
١				
٢				
٣				
٤				
٥				
٦				
٧				
٨				

الوحدة الثامنة

أحوال المسند والمسند إليه

ب - التقديم والتأخير

الوحدة الثامنة

أحوال المسند والمسند إليه

ب - التقديم والتأخير

يحدث في الجملة تقديم وتأخير يخالفان النسق الطبيعي لهما، فمن المعروف في لغتنا العربية أن تبدأ الجملة الاسمية بالمبتدا وبعده الخبر، وأن تبدأ الجملة الفعلية بالفعل وبعده الفاعل، وأن يتأخر المفعول عن الفاعل. وهذا النسق المنظم يعتمد على المنطق السليم وحسن الإدراك، وقد تخرج على هذا النسق لدواعٍ وأغراض بلاغية توجب التقديم والتأخير في الكلام. وقد نظر عبدالقاهر الجرجاني إلى هذا الموضوع إذ يقول: (هو باب كثير الفوائد .... يفتر لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سببَ أن راقك، ولطف عندك، أن قُدِّمَ فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان)[1].

وهناك ضوابط للتقديم والتأخير ترتبطُ بما في أذهاننا من اهتمامات، ومما في إدراكنا من ميل إلى التعبير عن إحساس نريد أن ننقله إلى الآخرين بصورة مقنعة مؤثرة)[2].

ولا شك في أن التقديم والتأخير يرميان إلى هدف آخر غير المعنى هو مراعاة الموسيقا، وأن (أية محاولة للفصل التام بين المقتضيات الموسيقية

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٣٧ .

(٢) شكري عياد (وزملاؤه)، البلاغة والنقد، ص ١٣٧ .

والمقتضيات المعنوية تعدّ ضربا من الوهم، ولكن يستطيع المتذوق للنص أن يُرَجِّحَ جانبا على آخر)[1].

ومما يتعلق بتنظيم الجملة تقديم المسند الاسمي على المسند إليه، وتقديم المسند الفعلي على المسند إليه.

أولاً - تقديم المسند الاسمي على المسند إليه

قد يتقدم المسند (الخبر) إذا كان اسما مفرداً أو شبه جملة على المسند إليه (المبتدأ) لغرض بلاغي يُفيد المعنى قوة وإحكاما ووضوحا.

وأهم الأغراض البلاغية التي توجب التقديم والتأخير في الكلام هي:

١- **الاختصاص**: وذلك بقصد قصر المسند على المسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ (المائدة: ١٢٠)، بمعنى أن مُلك السموات والأرض لله ومقصور عليه ومنحصر فيه.

٢- **التعجب والإنكار**: نحو قوله تعالى: ﴿أراغبٌ أنتَ عن آلهتي يا إبراهيم﴾ (مريم: ٤٦) ففي الآية الكريمة تقدَّم الخبر (راغب) على المبتدأ (أنت) وذلك لكون المتقدم محط الإنكار والتعجب.

٣- **التشويق**: نحو قول الشاعر:

ثلاثـــــة ليس لها إياب ‏‏ ‏ ‏ الوقت والجمال والشباب

فهنا قُدِّم المسند إليه وهو (ثلاثة) ليجعلنا نتساءل عن كنه هذه الثلاثة التي لن تعود، وهي (الوقت والجمال والشباب)، فهو يعتمد تأخير المبتدأ لنتشوق إلى معرفته.

٤- **إثارة الانتباه**: نحو قوله تعالى: ﴿واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ (الأنبياء: ٩٧).

---

(١) سناء البياتي، نحو منهج جديد في البلاغة والنقد، ص ٤٤ .

وهنا تقدم المسند إليه وهو (شاخص)؛ لأن الشخوص يعبّر عن رهبة الموقف الذي يمرّ به الكفار، وفي ذلك لفت النظر إلى أبصارهم. وقدّ تقدم الضمير (هي) لزيادة جذب الانتباه إلى صورة الشخوص وتخصيصه بأبصار الذين كفروا.

٥- **التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت:** نحو قوله تعالى: ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ (البقرة: ٣٦). فقد تم تقديم المسند (ولكم مستقر)، ولو قال (ومستقر لكم) لظُنّ أن (لكم) نعت وأن خبر المبتدأ سيذكر فيما بعد، إذ حاجة النكرة إلى النعت أشد من حاجتها إلى الخبر.

تــدريب

بيّن الأغراض البلاغية التي اقتضت تقديم المسند الاسمي على المسند إليه في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾.

الغرض البلاغي من التقديم: ____________________

٢- قال تعالى: ﴿وظنوا أنهم مانعة حصونهم من الله﴾.

الغرض البلاغي من التقديم: ____________________

٣- وقال تعالى: ﴿له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾ (التغابن: ١).

الغرض البلاغي من التقديم: ____________________

٤- قال حسان بن ثابت في مدح الرسول (ﷺ):

له هِمَــمٌ لا منتهــى لكبارهــا   وهمته الصغرى أجلُّ من الدهـر

الغرض البلاغي من التقديم: ____________________

٥- قال محمد بن وهيب الحميري في المعتصم:

ثلاثــــة تشـــرق الدنيـــا ببهجتهـا   شمْسُ الضحى وأبو إسحاق والقمر

الغرض البلاغي من التقديم: ____________________

٦- قال أبو العلاء المعري:

وكالنار الحياة فمن رماد   أواخرها وأولها دخـان

الغرض البلاغي من التقديم: ____________________

ثانياً - تقديم المسند الفعلي على المسند إليه:

يتقدم المسند (الخبر) إذا كان فعلا على المسند إليه (المبتدأ)، وبذلك يصبح المبتدأ فاعلا وتصبح الجملة فعلية. فما هو الأثر البلاغي لهذا التقديم والتأخير؟ لا شك في أن هذا النسق النحوي ذو علاقة بمفهوم النظم الذي يتصل بتأليف الجملة وترتيب مفرداتها وأدواتها المكوّنة لها، بحيث تصبح الجملة مقبوله نحوياً، وبليغة دلاليا.

وعلى ضوء ذلك نذكر أهم الأغراض البلاغية التي توجب هذا التقديم والتأخير:

١- **تقوية الحكم وتقريره**، نحو قوله تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج: ٤٦)؛ فهذا أبلغ في تأكيد نفي الفعل في قوله تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾ مما لو قيل: فإن الأبصار لا تعمى. والفرق بين الجملتين أن الأولى تفيد القوة في نفي الفعل بتقديمه، وهو نفي بعيد عن الشك والإنكار، أما في الجملة الثانية التي تبدأ بالاسم فالشك قد يحيط بالفعل ويصبح موضع الإنكار.

وكذلك الأمر قد يتقدم الفعل في حالة الإثبات ليقطع كل شك وإنكار، نحو قوله تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (آل عمران: ١٣٧). فسبق الفعل (خلت) أبلغ في تأكيد إثبات الفعل.

٢- **كون المتقدم موضع الاهتمام والقصد**، نحو قوله تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ (القصص: ٢٠) فقد تقدّم الفعل (جاء) وهو المسند على المسند إليه النكرة (رجل)؛ لأن الحدث الذي يتضمنه الفعل هو موضع الاهتمام والقصد، أما الفاعل النكرة فليس هو المقصود.

٣- **كون المتقدم موضع الإنكار والتعجب**، نحو قوله تعالى: ﴿قال أتعبدون ما

تنحّتون﴾ (الصافات: ٩٥) فالفعل (أتعبدون) هو موضع الإنكار والتعجب، ولو قال: ﴿أأنتم تعبدون﴾ كان الشك في الفاعلين أنفسهم، أهم المخاطبون أم غيرهم - وما إلى هذا قصدت الآية، إذ أنَّ التهمة ثابتة عليهم، ومن ثم كان التعجب والإنكار من سوء فعلهم وهو عبادة الأصنام التي يصنعونها بأيديهم.

٤- **تعجيل المسرّة**، نحو قول الشاعر:

سَعدَتْ بغُرّة وجهك الأيامُ وتزيَّنتْ ببقائك الأعـــوام

فقد تقدّم الفعل (سعدت) بما يتضمنه من إيحاء بالبهجة والسرور، ليشعر السامع بالتفاؤل لأول وهلة، ولو قال: الأيام سعدت، لقلَّ الشعور بالتفاؤل الذي أحدثه تقديم الفعل.

٥- **التشويق**، نحو قول قيس لبنى:

سَلِي هل قلاني من عشير صحبته وهل مَلَّ رحلي في الرفاق رفيـق

ففي تأخير الفاعل (رفيق) وهو المسند إليه، وتقديم المسند الفعلي (مَلّ) تشويق إليه.

تـــدريب

بيّن الأغراض البلاغية التي اقتضت تقديم المسند (الفعل) وتأخير المسند إليه في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله﴾ (غافر: ٢٨).

الغرض البلاغي: ____________________

٢- وقال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (المؤمنون: ١).

الغرض البلاغي: ____________________

٣- وقال تعالى: ﴿يُسبّح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ (الجمعة: ١).

الغرض البلاغي: ____________________

٤- وقال تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشقّ القمر﴾ (القمر: ١).

الغرض البلاغي: ____________________

٥- قال أحمد شوقي:

أراد الله بالفقراء برّاً وبالأيتام حُبّاً وارتيابا

فما حرم المجدً جنى يديه ولا نسي الشقيَّ ولا المصابا

الغرض البلاغي: ____________________

٦- وقال محمد حسن فقي يخاطب مكة:

ما تُبالين بالرّشاقة والسحـ ـر فمعناك ساحر ورشيق

سجدتْ عنده المعاني فما ثـ ـمَّ جليلٌ سواه أو مرموق

ومشى الخُلدُ في رِكابك مختا لاً يمد الجديدَ منه العتيقُ

ثالثاً - تقديم المسند إليه على المسند الفعلي

يتقدّم المسند إليه (المبتدأ) على المسند الفعلي، ووراء هذا التقديم قيمة بلاغية تفيد المعنى قوة، وتتلاءم مع ما في نفوسنا من رغبة في صدق التعبير. أما الأغراض البلاغية التي توجب هذا التقديم فهي:

١- **تخصيص المسند إليه بالفعل**، نحو قوله تعالى: ﴿قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ (آل عمران: ٤٠)؛ فالقصد متّجه إلى المسند إليه وهو لفظ الجلالة، وتقديمه يعني أن الفعل مخصوص به وحده، فالله - جلّ وعلا - وحده دون غيره يفعل ما يشاء.

وهذا تخصيص بالفعل في حال الإثبات، وقد يأتي في حال النفي، نحو قول المتنبي:

وما أنا أسقمت جسمـــــي به ... ولا أنا أضرمتُ في القلبِ نارا

فقد قدّم المتنبي المسند إليه وهو ضمير المتكلم (أنا) ليفيد تخصيصه بنفي الخبر الفعلي عنه، فليس هو الذي أسقم جسمه، ولا أضرم النار في قلبه، بل هناك شخص آخر فعل ذلك.

٢- **تأكيد الإسناد**، نحو قوله تعالى: ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ (آل عمران: ٧٨)، فتقديم المسند إليه وهو الضمير (هم) قد تقدّم على الفعل (يعلمون) للتأكيد؛ إذ أكّد علم الكفار بأنّ ما يقولونه افتراء على الله.

ويجيء هذا التأكيد في صور مختلفة، فقد يأتي في مقام الفخر، كقول طرفة بن العبد:

نحن في المشتاة ندعو الجَفَلي ... لا ترى الآدب فينا ينتقـــــر[1]

وقد يأتي في مقام مدح، نحو قول عمرة الخثعمية:

---

(١) المشتاة: الشتاء؛ الجفلي: الدعوة العامة؛ الآدب: الداعي إلى الطعام؛ لا ينتقر: لا يختار أناسا دون آخرين.

هما يلبسان المجد أحسن لبسةٍ شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما

فالشاعرة تخلع، على ولديها أجمل صفات المديح، فهما يسعيان لإدراك المجد، باذلين الجهد في سبيله حتى يفخرا برونقه وبهائه في عيون الناس، وحتى يتردد ذكرهما في كل مكان. وهما يحرصان أشد الحرص على ارتباطهما بالمجد.

٤- **تقوية الحكم**، نحو قول المتنبي:

غيري بأكثر هذا الناس ينخـــدعُ إن قاتلوا جَبُنوا أو حدّثوا شَجُعوا

فقد قدّم المسند إليه (غيري) على المسند الفعلي (ينخدع) لإفادة تقوية الحكم، فكأنه يقول: غيري ينخدع وأنا لا أنخدع.

تــدريب

بيّن الأغراض البلاغية التي اقتضت تقديم المسند إليه وتأخير المسند الفعلي في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ (النور: ٤٥).

الغرض البلاغي: ____________________

٢- قال تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ (يس: ٤٠).

الغرض البلاغي: ____________________

٣- قال الشاعر:

غيري جَنَى وأنا المعاقَبُ فيكم فكأنني سبَّابة المتندّم

الغرض البلاغي: ____________________

٤- وقال المتنبي:

مثلك يثني الحزن عن صَوْبه ويستردُّ الدمع من غَرْبه

الغرض البلاغي: ____________________

٥- وقال أحمد شوقي:

وكل مسافر سيؤوب يوما إذا رُزق السلامة والإيابا

الغرض البلاغي: ____________________

الوحدة التاسعة

أحوال المسند والمسند إليه

ج - التعريف والتنكير

الوحدة التاسعة

أحوال المسند والمسند إليه

ج - التعريف والتنكير

أولاً - تعريف المسند

تناول البلاغيون المسند إليه من حيث التعريف والتنكير، متأثرين ببعض مباحث النحو كالمعرفة والنكرة، وجواز الابتداء بالنكرة في أحوال مخصوصة. وأنواع التعريف كثيرة، منها: التعريف بالألف واللام، وبالضمير، والعلمية، والاسم الموصول، واسم الإشارة، وإضافة النكرة إلى المعرفة.

ولا يخلو التعريف ببعض هذه الأنواع من فوائد يدركها القارئ في بلاغة المعاني، منها:

١- **التهويل والتعظيم**: كاستعمال الاسم الموصول واسم الإشارة، نحو قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ (فصلت: ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿هذا إفك عظيم﴾ (الفرقان: ٤)، وقوله سبحانه حديثا عما لقيه آل فرعون: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ (طه: ٧٨).

٢- **المبالغة في تثبيت الصفة**؛ وذلك لتمييز المسند إليه عن غيره وتمكينه في ذهن السامع: ويتحقق هذا في مقام المدح، نحو قول ابن الرومي:

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنــه   من نسل شيبان بين الطَّلْحِ والسَّلَمِ

فهو باستعمال اسم الإشارة (هذا) ميّز الممدوح عن غيره بأنه متفرِّد في محاسنه.

٣- **التذكير بشيء سابق**، نحو قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ (النور: ٣٥) فقد ذكر سبحانه المصباح والزجاجة نكرتين ثم أعاد ذكرهما بالتعريف، ليذكرنا بأنه يتحدث عنهما. وسمّى البلاغيون هذه الألف واللام عهدية.

٤- **استغراق عموم الجنس**، نحو قوله تعالى: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ (آل عمران: ٣٦) فقد أفادت الألف واللام عموم جنس الذكور وعموم جنس الإناث. وتسمّى هذا الألف واللام استغراقية.

٥- **قصد فرد غير معين من أفراد الجنس**، نحو قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ (يوسف: ١٣)؛ فليس المقصود ذئباً معيناً، بل أيّ ذئب.

٦- **الإحالة على سياق معلوم**، نحو قوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ (الفتح: ١٨)؛ فكأنه سبحانه - قال: تحت الشجرة التي تعرفونها، وتعلمون ما كان من شأنها عند البيعة.

٧- **التحقير**، وتارة يكون باستعمال اسم الاشارة القريب، وتارة يكون بالبعيد. فمن الأول ما حكاه القرآن عن المشركين قوله تعالى: ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ (الأنبياء: ٣٦)؛ ومن الثاني قوله سبحانه: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم﴾ (الماعون: ١ و٢).

٨- **زيادة تقرير الغرض الذي سيق الكلام من أجله**، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ (يوسف: ٢٣)؛ فالغرض هو عفّة

يوسف ونزاهته - عليه السلام - إذ لم يقل: راودته زُليخا أو امرأة العزيز. وإنما قال: "التي هو في بيتها".

٩- **الاختصار والإيجاز**، نحو قول جعفر بن علبة[١]:

هوايَ مع الرّكب اليمانين مُصْعِدٌ ... جنيب وجثماني بمكة مُوثَقُ

فالمقصود بكلمة "هواي" الذي أهواه.

١٠- **الاختصار مع تعذّر التفصيل**، كقول حسان بن ثابت:

أولاد جفنة حول قبرِ أبيهم ... قبرُ ابنِ مارية الكريمُ المُفْضِلُ

إذ يتعذّر علينا أن نُعدِّد هؤلاء الأولاد.

ثانياً - التنكير:

النكرة هو ما شاع في جنسه دون أن يدل على مُعيّن، فإذا قلت: هذا رجل، رأيت سيارة. فإنهما يصلحان لكل رجل وسيارة، ولا يدلان على رجل معين أو سيارة معينة.

وهناك أغراض للتنكير تستدعيها البلاغة ويرشدنا إليها السياق. ويمكن أن نُبيِّن أهمها على النحو التالي:

١- **التعظيم**، في مثل قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ (البقرة: ١٧٩)؛ فكلمة "حياة" نكرة تدل على حياة عظيمة، جديرة بأن نحافظ عليها.

٢- **التكثير**، في مثل قول محمود غُنيم:

لي فيك يا ليلُ آهاتٌ أُرددها ... أوّاه لو أجْدَتِ المحزون أوّاهُ

---

(١) شاعر فارس، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

وكلمة "آهات" نكرة تفيد الكثرة، وتدل على أن الشاعر يتألم كثيراً لحال أُمّته.

والفرق بين التعظيم والتكثير أن الأول يكون في الكيف، أما الثاني فيكون في الكم. وقد يجتمعان معاً في مثل قوله تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كُذّبت رُسل من قبلك﴾ (فاطر: ٤)؛ وكلمة "رسل" تفيد تعظيم شأنهم، وتدل على أنهم كثيرون.

٣- **بيان النوعية**، في مثل قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ (البقرة: ٧). فقد ذهب الزمخشري إلى أن كلمتي "غشاوة" و"عذاب" نكرتان تفيدان بيان النوعية؛ أي: وعلى أبصارهم نوع خاص من الغشاوات، ولهم نوع من العذاب خاص بهم[1].

٤- **الإفراد**، في مثل قوله: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ (القصص: ٢٠)؛ أي فرد واحد لاغير.

---

(١) الكشاف، ١/ ٥٣.

أسئلة التقويم الذاتي

١- أنواع التعريف كثيرة، فما هي؟

٢- ما الفوائد التي يمكن أن يدركها القارىء من هذه الأنواع؟

٣- ما الأغراض البلاغية التي يخرج إليها التنكير؟

٤- ما الذي يرشدنا إلى تلك الأغراض؟

تدريبـــــات

التدريب الأول:

عيِّن المسند إليه المعرفة واذكر دلالته في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾.

٢- قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ (فصّلت: ٣٠).

٣- قال تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ (البقرة: ٢).

٤- قال تعالى: ﴿فغشّاها ما غشّى﴾ (النجم: ٥٤).

٥- قال الحطيئة:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البُنى ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شَدّوا

٦- وقال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

٧- وقال شاعر:

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني ... فمضيت ثُمَّتَ قلت لا يعنيني

٨- وقال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول

٩- وقال مروان بن أبي حفصة:

بنو مطر يومَ اللقاء كأنهم ... أسودٌ لها في غيل خفّان أشبُلُ

	المسند إليه المعرفة	دلالته
١		
٢		
٣		
٤		
٥		
٦		
٧		
٨		
٩		

التدريب الثاني :

عيِّن النكرة، ثم بيِّن الغرض البلاغي منها في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ (آل عمران : ٢٣).

النكرة: ________________________________

الغرض البلاغي: ________________________________

٢- قال تعالى: ﴿ورضوانٌ من الله أكبر﴾ (التوبة : ٧٢).

النكرة: ________________________________

الغرض البلاغي: ________________________________

٣- قال تعالى : ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ (ص : ٢٩).

النكرة: ______________________________

الغرض البلاغي: ______________________________

٤- قال الشاعر :

لنا جبلٌ يحتلُّه من نُجيرُه
منيعٌ يرد الطرفَ وهو كليلُ

النكرة: ______________________________

الغرض البلاغي: ______________________________

٥- وقال المتنبي :

فيوماً بخيلٍ تطرد الرومَ عنهمُ
ويوما بجودٍ يطردُ الفقرَ والجَدبا

النكرة: ______________________________

الغرض البلاغي: ______________________________

٦- وقال المعري :

والذي حارت البريّة فيه
حيوان مستحدث من جماد

النكرة: ______________________________

الغرض البلاغي: ______________________________

الوحدة العاشرة

القصـــر

الوحدة العاشرة

القصـــر

القصر : طرقه وطرفاه

يفيد القصر الإيجاز، فضلا عن أنه يفيد التوكيد والمبالغة، وهما من أسرار بلاغته. غير أن آراء البلاغيين في القصر متشابكة؛ نظراً لتنوع طرقه وتعدد أقسامه. فما القصر؟ وما طرقه؟

القصر لغة :

الحبس والإلزام، نحو قوله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ (الرحمن: ٧٢) أي مُقيمات فيها، كما تقول: قصرت نفسي على العبادة، إذا حبستها وألزمتها إياه.

القصر اصطلاحاً :

تخصيص أمر بآخر وقصره عليه بإحدى طرق القصر:

وللقصر طرفان، هما:

١- المقصور: وهو الشيء المخصص. ففي قولنا: إنما الكاتب الجاحظ، قصرنا الكتابة على الجاحظ وحده، فالكتاب مقصور، والجاحظ مقصور عليه.

٢- المقصور عليه: وهو الشيء المخصص به. ففي قولنا: " لا ناصر إلا الله" قصرنا صفة "النصر" على "الله"، ونفيناها عن غيره. وبذلك تكون كلمة "ناصر" هي المقصور، ولفظ الجلالة "الله" هو المقصور عليه.

وقد جعل البلاغيون جمل القصر في التراكيب النحوية بين:

١- الفعل والفاعل: لا ينجح إلا المجتهد.

٢- المبتدأ والخبر: ما محمد إلا رسول.

٣- الفعل والظرف والحال.

طرق القصر

يلخص البلاغيون المحدثون الحديث حول طرق القصر، ويدور حديثهم حول المشهور منها، وهي أربع:

١- **النفي والاستثناء**: وهي: (ما) و(إلا) وهنا يكون المقصور بعد أداة النفي، والمقصور عليه بعد أداة الاستثناء، مثل: ما المتنبي إلا شاعر؛ فالجملة تفيد أن المتنبي مقصور على كونه شاعرا وبذلك يكون المتنبي (مقصورا) ونظم الشعر (مقصورا عليه).

٢- **إنّما**، ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوبا؛ مثل قول الرسول (ﷺ): (إنما الأعمال بالنيات) فالحديث يفيد أن (الأعمال) هي (المقصور) و(النيات) هي المقصور عليه.

٣- **القصر** بثلاثة حروف عطف، هي:

- لا، ويأتي المقصور عليه مقابلا لما بعدها، نحو: المتنبي شاعر لا خطيب
- بل ولكن، ويأتي المقصور عليه بعدهما، نحو: ما المتنبي خطيب بل شاعر؛ ما جاء خالدٌ ولكن عليٌّ.

٤- **تقديم ما حقّه التأخير** وهنا يكون المقصور عليه هو المقدّم والمقصور المتعلق به، نحو قول المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي علـى قدر الكـرام المكارم

فالشاعر قدَّم عبارة (على قدر أهل العزم) في الشطر الأول على الفعل (تأتي) وحقها التأخير لأنها متعلقة بالفعل.

	الطريقة	المقصور	المقصور عليه
١	النفي والاستثناء	المتبني	شاعر (نظم الشعر)
٢	إنما	الأعمال	النيّات
٣	العطف بـ(لا)	المتبني	شاعر (نظم الشعر)
	العطف بـ(بل)	المتبني	شاعر (نظم الشعر)
	العطف بـ(لكن)	(المجيء)	علي
٤	تقديم ما حقه التأخير	(مجيء العزائم)	على قدر أهل العزم

فوائد :

١- يمكن أن تذكر (لا النافية) بعد (إنما) نحو : إنما يفوز المجتهدون لا المهملون . . ولكنها لا تأتي بعد النفي والاستثناء؛ فلا يقال: ما يفوز إلا المجتهدون لا المهملون.

٢- تستعمل (إنّما) للشيء الذي لا ينكره المخاطب ولا يجهله، وتستعمل (مَا) و(إلا) على العكس من ذلك.

٣- (إنما) تفيد التعريض مع إفادتها القصر؛ ففي قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ تعريض بالعلماء الذين لا يخشون الله.

تدريبـــــات

عيّن طرفي القصر وطريقته في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ (الكافرون: ٦).

٢- قال تعالى: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (آل عمران: ٢٠).

٣- قال تعالى: ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب﴾ (هود: ٨٨).

٤- قال ابن الرومي:

لعمرك ما الحياة لكـــل حي ... إذا فقد الشباب سوى عذاب

٥- لا أجيد الخطابة لكن الشعر.

٦- صداقة الجاهل تعب لا راحة.

	المقصور	المقصور عليه	الطريقة
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			

أ - القصر بحسب طرفيه

يقسم البلاغيون القصر بحسب طرفيه إلى قسمين:

أ - **قصر صفة على موصوف**: وهو ما لا تتجاوز فيه الصفة ذلك الموصوف إلى أي شيء آخر وإن كان هو يتجاوزها إلى صفات أخرى، مثل: لم يبنِ البتراء إلا الأنباط، أي أن صفة بناء البتراء مقصورة على الأنباط لا تتعدى إلى سواهم من الناس.

ب- **قصر الموصوف على صفة**: وهو ما لا يتعدى فيه الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى معيّنة، وإن كانت الصفة تتجاوز إلى غيره، مثل: ما خالد إلا قائد. فقد قُصر خالد على صفة القيادة لا يتجاوزها إلى غيرها من الصفات.

تجدر الإشارة إلى أن البلاغيين يعنون بالصفة الصفة المعنوية لا النعت الذي يتحدث عنه النحويون.

ولكل من هذين القسمين مقامه الخاص به، ولا يجوز أن يأتي أحدهما مكان الآخر؛ فإذا كان حديثنا عن القادة العظام، نقول مثلاً: إنما القائد خالدٌ.

أما إذا كان حديثنا عن خالد، وما هي أبرز أوصافه؟ أهو عالم أم شاعر، أم قائد؟ فإننا نقول: إنما خالد قائد.

تدريبـــــات

بيّن نوع القصر بحسب طرفيه، وطريقته، ثم عيّن كلا من المقصور والمقصور عليه في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ (النحل: ٧٧).

٢- قال الرسول (ﷺ): (إنما بعثت لأتممّ مكارم الأخلاق).

٣- قال الفرزدق:

أنا الذائد الحامي الذّمار وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

٤- وقال المتنبي:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي ... إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

٥- إيّاك أعني واسمعي يا جارة.

٦- وقال الشاعر:

لحومُهُمُ لحمي وهُمْ يأكلونَهُ ... وما راهبات المرء إلاّ أقاربه

٧- وقال آخر:

لا يعرفُ الشوقَ إلاّ من يُكابدُه ... ولا الصبابة إلاّ من يعانيها

٨- وقال آخر:

ما يكون العيش حلواً كلُّه ... إنما العيش سُهولٌ وحُزونُ

	المقصور	المقصور عليه	نوع القصر	طريقة القصر
١				
٢				
٣				
٤				
٥				
٦				
٧				
٨				

ب - القصر بحسب الحقيقة والواقع

ينقسم القصر بحسب الحقيقة والواقع إلى قسمين:

أ - **قصر حقيقي**: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألا يتعدّاه إلى غيره أصلا، نحو قوله تعالى: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ (الزمر: ٩) فالقصر في الآية الكريمة من باب قصر الصفة على الموصوف، لا تتعدّى الصفة فيه موصوفها إلى موصوف آخر مطلقا. فالتذكّر صفة لا تتجاوز أولي الألباب إلى غيرهم من سائر الناس في الحقيقة والواقع.

وإذا قلت: إنما آدم أبو البشر: فهو من حيث الواقع كذلك؛ لأنه لا أب للبشرية غيره.

ب- **قصر إضافي**: وفيه يختص المقصور بالمقصور عليه عن طريق الإضافة إلى صفة بعينها أو موصوف بعينه، نحو قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم﴾ (آل عمران: ١٤٤).

فالقصر في الآية الكريمة من باب قصر الموصوف على الصفة، لكن هذا الموصوف يمكن أن يتجاوز هذه الصفة إلى شيء آخر يمكن أن يضاف إليها، فيكون عربيا أو هاشميا أو قُرشيا إلخ.

وهكذا ترى أن القصر ينقسم بحسب الحقيقة والواقع إلى قسمين:

- حقيقي: يختص فيه المقصور بالمقصور عليه ولا يتعداه إلى غيره. ويكثر في قصر الصفة على الموصوف، ويندر في قصر الموصوف على الصفة.
- إضافي: يكون الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين. ويأتي في قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على حد سواء. وهو مجال رحيب يُبدع فيه الشعراء والكُتّاب، ويُظهرون به قدرتهم على التخييل والتصوير.

تدريبـــــات

بيّن نوع القصر من حيث طرفاه ومن حيث الواقع في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ (الأنعام: ٥٩).

٢- وقال تعالى: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يُرجعون﴾ (الأنعام: ٣٦).

٣- وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (المائدة: ٩٠).

٤- قال لبيد من ربيعة:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

٥- قال حسان بن ثابت:

وإنما الشعرُ لبُّ المـــرء يعرضه ... على المجالس إن كَيْساً وإن حُمْقا

	نوع القصر من حيث طرفاه	نوع القصر من حيث الواقع
١		
٢		
٣		
٤		
٥		

ج - القصر بحسب حال المخاطب:

وهذا القصر خاص بالقصر الإضافي فقط.

إذ ينقسم القصر الإضافي بحسب حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام، هي:

١- **قصر إفراد**: وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

٢- **قصر قلب**: وذلك إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي يثبت بالقصر.

٣- **قصر تعيين**: وذلك إذا كان المخاطب متردّدا في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

فإذا قلت في قصر الصفة على الموصوف: (الذكيُّ محمدٌ لا خالدٌ) فهو:

- قصر إفراد إذا اعتقد المخاطب اشتراك محمد وخالد في صفة الذكاء.
- وقصر قلب إذا اعتقد المخاطب عكس ذلك.

فإذا قلت في قصر الموصوف على الصفة:

(ما العقاد إلا كاتب) وكان المخاطب يعتقد اتصاف العقاد بالكتابة ونظم الشعر كان القصر (قصر إفراد).

وإذا كان المخاطب يعتقد اتصاف العقاد بالشعر لا الكتابة كان القصر (قصر قلب).

وإذا كان المخاطب مترددا لا يدري أي الصفتين هي صفة العقاد كان القصر (قصر تعيين).

على ضوء ما تقدم نورد جملتي القصر التاليتين، ثم نعرض لها بالتحليل لبيان أيهما أبلغ:

- إنما يجيد الشعر المتنبي
- إنما المتنبي يجيد الشعر

فالجملة الأولى تفيد أن المتنبي وحده هو الذي يجيد الشعر ويبدع فيه، ولا يشاركه غيره في هذه الصفة، مع اتصافه بصفات أُخرى، كالفروسية والسباحة.

أما الجملة الثانية فتفيد أن المتنبي يجيد الشعر وحده، ولا يجيد غيره من صفات، مع وجود من يشاركه في إجادة الشعر.

وخلاصة الأمر، فإن الجملة الأولى أبلغ في مدح المتنبي لسببين: الأول أنه متفرّد بإجادة الشعر دون سواه، والثاني أنه قد يجيد أعمالا أخرى.

أسئلة التقويم الذاتي

١- ما القصر لغة واصطلاحاً؟

____

____

____

____

٢- عدّد طرق القصر.

____

____

٣- عدّد أنواع القصر بحسب: طرفيه، والحقيقة والواقع، وحال المخاطب.

- بحسب طرفيه:

١- ____

٢- ____

بحسب الحقيقة والواقع:

١- ____

٢- ____

٣- ____

٤- ____

- بحسب حال المخاطب:

١- ____

٢- ____

٣- ____

تدريبـــــات

أ - بين نوع القصر من حيث طرفاه، ثم بيّن أقسامه بحسب حال المخاطب في ما يأتي:

١- الفارسُ عنترة لا زهير.

٢- ما الحجّاج إلا خطيب.

ب- حلل الجملتين الآتيتين على ضوء دراستك السابقة وبين أيهما أبلغ، مع التعليل:

- إنما العقّاد يجيد النقد.

- إنما يجيد النقد العقاد.

تدريب عام

أ - بيّن طرق القصر والمقصور والمقصور عليه في ما يأتي:

١- قال الشاعر:

ليس اليتيمُ الذي قد مات والدُهُ   بل اليتيمُ يتيمُ العلم والأدب

٢- وقال آخر:

ما شاب رأسي من سنين تتابعتْ   عَليَّ ولكنْ شيَّبتني الوقائع

٣- وقال آخر:

ليس عارٌ بأن يقال فقير   إنّما العار أن يُقال بخيل

٤- وقال عمرو بن كلثوم:

لنا الدنيا ومن أضحى عليها   ونبطش حين نبطش قادرينا

٥- وقال عُبيد الله بن قيس الرقيات:

إنّما مُصعبٌ شِهابٌ من اللـ   ـهِ تجلّتْ عن وجههِ الظلماءُ

	طريقة القصر	القصر	المقصور عليه
١			
٢			
٣			
٤			
٥			

ب - متى نقول:

- إنما أسّس العروض الخليل بن أحمد.
- إنما أسس الخليل بن أحمد العروض؟

ج - هل صحيح قولنا:

- إنما عنترة شاعر لا خطيب.
- ما عنترة إلا شاعر لا خطيب؟

الوحدة الحادية عشرة

الفصل والوصل

الوحدة الحادية عشرة

الفصل والوصل

من أسرار البلاغة العلم بمواطن الفصل والوصل، ولم يخطئ الفارسي عندما سئل عن البلاغة؛ فقال: معرفة الفصل من الوصل[1]، وذلك لغموض هذا الباب ودقة مسلكه، إذ لم يكن يتأتّى إلا العرب الخُلّص الذين ينطقون لغتهم عن سليقة، وكذلك لمن طُبعوا على البلاغة وأوتوا حظًّا من المعرفة في ذوق الكلام[2].

والوصل يعني عند علماء المعاني عطف جملة على أخرى بالواو دون سائر حروف العطف؛ لدلالتها على مطلق الجمع والاشتراك، أما غيرها من حروف العطف فتفيد مع الاشتراك معاني زائدة كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في (ثم) وهلمّ جرا.

مواضع الفصل

يجب الفصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع:

١- **أن يكون بين الجملتين اتحاد تام،** يسميّه علماء المعاني (كمال الاتصال)؛ وذلك بأن تكون الجملة الثانية:

---

(١) انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ٨٨ .

(٢) انظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص ١٧٤ .

أ - **توكيدا للأولى**، نحو قول المتنبي:

وما الدهر إلا مـــن رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فبين الجملتين اتحاد تام في المعنى، وجاءت الثانية توكيدا للأولى لأن معناهما واحد.

ب - **بيانا لها، نحو قول المعري:**

الناس للناس من بــــدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدمُ

فبين الجملتين اتحاد تام في المعنى، وجاءت الثانية لإيضاح إبهام الأولى، وهي من ثَمّ بيان لها.

ج - **بدلاً من الأولى**، نحو قوله تعالى: ﴿اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون﴾ (يس: ٢٠-٢١).

فالتأمل في الآيتين الكريمين يُظهر أنّ بين جملة (اتبعوا المرسلين) وجملة (اتبعوا من لا يسألكم)، كمال الاتصال؛ ذلك لأن الجملة الثانية بدل اشتمال من الأولى، وهي أوفى منها بتأدية المعنى لحمل المخاطبين على اتباع المرسلين. وبسبب هذا الاتصال الكامل في معناها فُصِلَ بينهما.

٢- **أن يكون بين الجملتين تباين تام**، يسميه علماء المعاني (كمال الانقطاع) وذلك بأن تختلفا:

أ - **خبرا وإنشاء**، نحو قول الشاعر:

لا تحسب المجد تمـــراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فالجملة الأولى إنشائية والثانية خبرية، ولهذا وجب الفصل بينهما.

ب- **عدم وجود جامع بينهما**، نحو قول أبي العتاهية:

سبحان من لا شيء يعدله كم من بصير قلبه أعمى

فبين الجملة الثانية والجملة الأولى تمام التباين ومنتهى الابتعاد، لأنه لا مناسبة بينهما مطلقا، إذ لا جامع بينهما، الأولى: سبحان من لا شيء يعدله، أي أُسبّح الله الذي لا يوازيه شيء في الوجود، والثانية: كم من بصير قلبه أعمى، أي أن كثيرا من المبصرين عاجزون عن الرؤية بقلوبهم، تنقصهم البصيرة والإدراك لأنهم بعيدون عن الهداية والإيمان. ولهذا وجب الفصل بينهما.

٣- **أن تكون الجملة الثانية جوابا لسؤال اقتضته الأولى،** يسميه علماء المعاني (شبه كمال الاتصال) نحو قوله تعالى: ﴿وما أبرّئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء﴾ (يوسف: ٥٣)، ففي هذه الآية الكريمة فصلت جملة (إن النفس لأمّارة بالسوء) عن جملة (وما أبرّئ نفسي) لأن بينهما شبه كمال الاتصال، إذ جاءت الجملة الثانية جواباً عن سؤال فُهم من الجملة الأولى؛ كأنَّ سائلا سأل امرأة العزيز وهي تعترف بتهمة كيدها ليوسف عليه السلام: وهل النفس تأمر صاحبها بالسؤال؟ وإذ قالت: (إن النفس لأمّارة بالسوء) أجابت عن سؤال محتمل يربط بين المعنى في الجملتين. ولا يوجد هنا كمال اتصال بل شبه كمال اتصال.

٤- **أن يكون بين الجملتين شبه كمال أنقطاع،** وذلك أن تكون هناك جملة مسبوقة بجملتين، يجوز عطفها على الأولى منهما، ولا يجوز عطفها على الثانية، إذ لا يستقيم المعنى على ذلك، نحو قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغـي بها   بدلا أراها في الضلال تهيمُ

ففي هذا البيت ثلاث جمل: تظن سلمى/أنني أبغي بها بدلا/أراها في الضلال تهيم.

٥- **التوسط بين الكمالين،** يجب الفصل إذا كان الوصل يُخلّ بالمعنى، وهو

(١) انظر: عبدالرحيم العباسي، معاهد التنصيص، ١/ ٢٧٩ .

أن لا نقصد تشريك الجملة الأخيرة مع ما قبلها؛ لأن التشريك يُغيّر المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم﴾ (البقرة: ١٤ و١٥).

فإن عطف الجملة الأخيرة على الجملة الثانية يُشعرنا أن هذا من قول المنافقين. وهذا رأي عبدالقاهر الجرجاني. وهناك رأي آخر ذهب إليه الزمخشري، إذ رأى أن ترك العطف للاستئناف؛ بمعنى أنه جواب عن سؤال مُقدّر (ما جزاؤهم على ذلك؟) [1].

وأما قوله تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ (النساء: ١٤٢) فإن الجملة الثانية "وهو خادعهم" عطفت على ما قبلها، لأن الجملتين كلتيهما من قول الله تبارك وتعالى.

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف، ١/٦٧ .

تدريبـــــات

بيّن مواضع الفصل في ما يأتي ووضّح السبب في كل مثال وأثر ذلك في جماله الفني:

١- قال تعالى: ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يُقتّلون أبناءكم﴾ (الأعراف: ١٤١).

٢- قال تعالى: ﴿وإذ تُتلى عليه آياتنا ولّى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا﴾ (لقمان: ٧).

٣- جاء في الحِكَم: رأس الحكمة مخافة الله، الحسود لا يسود.

٤- قال النابغة الذبياني يرثي أخاً له:

حَسْبُ الخليلين نأي الأرض بينهما   هذا عليها وهذا تحتها بالي

٥- وقال ابن نباتة السّعدي:

لم يُبْقِ جودك لي شيئا اؤمله   تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

٦- وقال شوقي:

لك أن تلوم ولي من الأعذارِ   إنّ الهوى قدَرٌ من الأقدار

٧- وقال أبو الحسن التهامي

حكمُ المنية في البرية جار   ما هذه الدنيا بدار قرار

	موضع الفصل	السبب	أثر الفصل فنياً
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			

مواضع الوصل

١- **إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي؛** نحو قول بشار بن برد:

بضربٍ يذوق الموت من ذاق طعمه وتدرك من نَجَّى الفـــرارُ مثالبُهْ

فالجملة الأولى: (يذوق الموت من ذاق طعمه) لها موضع من الإعراب، إذ هي صفة للنكرة (ضَرْب) وقد وصل الشاعر بين الجملة الثانية (تدرك من نجّى الفرار مثالبه) والجملة الأولى لأنه أراد إشراك الجملة الثانية مع الأولى في الحكم الإعرابي.

٢- **اتفاق الجملتين خبراً أو إنشاءً،** وكانت بينهما مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما؛ نحو قول المتنبي:

أعزُّ مكان في الدُّنى سرجُ سابح وخير جليس في الزمـان كتاب

فهاتان جملتان اتحدتا خبرا، وتناسبتا في المعنى، ولا داعيَ للفصل بينهما، ولهذا وُصلت الثانية بالأولى.

وقول أبي فراس يخاطب سيف الدولة:

فليتك تحلو والحياة مـــــريرة وليتك ترضى والأنامُ غضابُ

وهاتان جملتان اتحدتا إنشاءً، وتناسبتا في المعنى، ولا موجب للفصل بينهما، إذ لا بد من وصل الثانية بالأولى.

٣- **إذا اختلفت الجملتان خبراً وإنشاءً**، وأدّى الفصل بينهما خلاف المعنى المقصود. ومن أمثلة ذلك:

- سأل أمير نائبه عن شيء فقال: لا، وأيَّد الله الأمير.
- سألك صديق: هل تحسنت صحة والدك؟

فتجيب: لا، ولطف الله به.

- سألك مسؤول: ألك حاجة أقضيها لك؟

فتجيب: لا، وحفظك الله.

فـ (لا) في هذا الموضع تقوم مقام جملة خبرية تقديرها في المثال الأول (لا حاجة لي)، وتقديرها في المثال الثاني (لم تتحسن صحته)، وتقديرها في المثال الثالث (لا حاجة لي) وكل من الجمل (أيّد الله الأمير) و (لطف الله به) و (حفظك الله) جملة دعائية إنشائية. وقد كان الأمر يتطلب الفصل بين الجملتين في كل مثال لاختلافهما خبرا وإنشاءً ولكن الفصل يُغيّر المعنى بحيث يتوهّم السامع أنك تدعو عليه في حين أنك تقصد الدعاء له. ولذلك وجب الاستغناء عن الفصل بينهما.

ملحوظة: بعض اللغويين سمّوْا هذه الواو بين الإنشاء والخبر بواو الحِسان لحُسن موقها.

محسنات الوصل وعيوبه

من محسّنات الوصل تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية وتناسب الجملتين الفعليتين في المضيّ والمضارعة، وفي الإطلاق والتقييد إلا لمانع.

ولهذا لا يحسن العدول عن ذلك في الوصل إلا لغرض. ومن هذه الأغراض:

- قصد التجدّد في إحدى الجملتين والثبات في الأخرى، نحو: أقام محمد وأخوه مسافر.
- أن يراد الإطلاق في إحدى الجملتين والتقييد في الأخرى، نحو قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا أُنزل عليه ملك، ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر﴾.

ومن عيوب الوصل انعدام المناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه، نحو قول أبي تمام:

لا والذي هو عالم أنّ النوى صبر وأن أبا الحسين كريم

فلا رابطة في المعنى بين مرارة النوى وكرم أبى الحسين.

أسئلة التقويم الذاتي

١- عرِّف كلا من: الفصل والوصل.

٢- ما المواضع التي يجب فيها الفصل بين الجملتين؟

٣- عدّد مواضع الوصل.

٤- للوصل محاسن وعيوب، اذكر كُلاً منها.

تدريبـــــات

أولاً : في كل آية مما يأتي جملتان وُصلت إحداهما بالأخرى. بين هاتين الجملتين ووضّح سبب الوصل بينهما:

١- ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ (البقرة: ٢٨٦).

٢- ﴿رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا﴾ (مريم: ٤).

٣- ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ (الانفطار: ١٤).

٤- ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.

ثانياً : بيّن مواضع الوصل في ما يأتي ووضّح السبب في كل مثال وأثر ذلك في جماله الفني:

١- قال الرسول (ﷺ): صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته.

٢- لا وجعلني الله فداءك.

٣- قال حسان بن ثابت:

أحتال للمال إن أُودى فأكسبه ولست للعرض إن اوُدى بمحتال

٤- قال الصّمّة بن عبد الله:

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربَّعا

٥- قال أبو العتاهية:

اخزُن لسانك بالسكوت عن الخنا واحذر عليك عواقب الأقوال

٦- قال الشاعر:

فأظمأُ حتى ترتوي البيض والقنا وأسغب حتى يشبع الذئب والنَّسر

ثالثاً : اختر الجملة التي يصحُّ فيها الوصل مع بيان السبب:

عبد الله تاجر وأحمد مريض - عبد الله طبيب وأحمد ممرض

الوحدة الثانية عشرة

الإيجاز والاطناب والمساواة

الوحدة الثانية عشرة

الإيجاز والإطناب والمساواة

أولاً - الإيجــاز

عرف العرب الإيجاز منذ العهد الجاهلي، إذ دَعْوا إليه ومارسوه في أدبهم، نظرا لحاجتهم إليه، فقد شاعت فيهم الأمية وندرت في مجتمعهم الكتابة وأدواتها، ولم تعد الذاكرة تستوعب كل ما يقولون؛ فكان الإيجاز وسيلة لاستيعاب ما يمكن أن تلتقطه هذه الذاكرة أو تعيه من غير نسيان. وبذلك تستطيع الأجيال اللاحقة أن تتناقله سليما غير منقوص.

وإذ تطوّرت الكتابة في العهد العباسي، وتوافرت أدواتها، وتفرَّغ لها طائفة من الأدباء، أصبحت مطلبا بلاغيا يتنافسون في الإبداع فيه، على نحو ما نرى في فن التوقيعات إذ "ودّ بعضهم لو كان الكلام كله توقيعات مصبوبة في قوالب من الإيجاز" [1].

وقد حدّد الجاحظ (- ٢٥٥هـ) مفهوم الإيجاز بقوله: (الإيجاز هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة)[2].

ثم توسّع في هذا المفهوم وجعل مقياسه (أداء حاجة المعنى، سواء أكان ذلك الأداء في ألفاظ قليلة أم كثيرة)[3].

(١) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص ١٨٩ .
(٢) الجاحظ، الحيوان، ٢/٨٦ .
(٣) م. ن، ص ٧ .

ثُمَّ عرّفه البلاغيون بقولهم: "هو جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح"[1] ويدور الحديث عن الإيجاز في ثلاثة مواطن: إيجاز القصر، وإيجاز الحذف، وإيجاز العبارة.

أ - إيجاز القصر:

وهو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني. وقيل: هو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف مع وضوح دلالتها على المعاني الكثيرة التي تتضمنها. وأبلغ مثال لهذا الإيجاز ما جاء عند الرماني (-٣٨٦هـ) حول قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ (البقرة: ١٧٩)، فإن قوله تعالى: ﴿القصاص حياة﴾ لا يمكن التعبير عنه إلا بألفاظ كثيرة؛ لأن معناه إذا قُتل القاتلَ امتنع غيره عن القتل، وأوجب ذلك حياة الناس.

وشتان بين هذا القول وقول العرب: (القتل أنفى للقتل) فبينهما تفاوت في البلاغة والإيجاز من أربعة أوجه تناولها الرّماني[2]، هي:

١- أنه أكثر في الفائدة: ففيه معانٍ حسَّنته منها: إبانة العدل، وإبانة الغرض، وامتثال الحكم لله.

٢- أوجز في العبارة: فـ (القصاص حياة) لفظتان (في عشرة أحرف)، و(القتل أنفى للقتل) ثلاثة ألفاظ (في أربعة عشر حرفا).

٣- في قول العرب تكرير ليس في الآية، وفي ذلك مشقة على النفس.

٤- أحسن تأليفا بالحروف المتلائمة، فالخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام.

ومن أمثلة إيجاز القصر في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأْمر

---

(١) انظر: عبدالعزيز عتيق، ص ١٩٠ .

(٢) انظر: رسالة النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٧٧و ٧٨ .

بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: ١٩٩)، فجمع مكارم الأخلاق بأسرها؛ ففي العفو صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين. وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم، وصون اللسان عن الكذب، وغضّ الطرف عن الحرمات. وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم والترفّع عن مقابلة السفيه بما يُفسد الدين.

ومما ورد من إيجاز القصر في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ: (إنَّ من البيان لسحرا) وقوله: (إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع) وقوله: (حبك الشيء يُعمي ويُصمّ).

ومن فنون النثر التي تمتاز بالإيجاز الجميل التوقيعات والحِكَم والأمثال، فمن التوقيعات توقيع الرشيد إلى صاحب خراسان: (داو جرحك لا يتسع) وتوقيعه في قصة البرامكة: و(أنبتتهم الطاعة وحصدتهم المعصية). ومن الحكم قولهم: (الناس أعداء ما جهلوا) و(مُرْ ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا) ومن الأمثال قولهم: (جزاء سنمّار) و(أحشفا وسوء كيلة) و(مواعيد عرقوب).

ب- إيجاز الحذف:

ويعرّفه البلاغيون بقولهم: "هو ما يحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تُعيّن المحذوف. ولا يكون إلا في ما زاد معناه على لفظه"[1]، ويكون المحذوف فيه:

١- حرفا: والمقصود بالحرف أحد حروف المعاني، نحو قوله تعالى: ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين﴾ (يوسف: ٨٥) والمراد: (تالله لا تفتأ) أي لا تزال، فحذفت (لا) من الكلام وهي مرادة.

(١) انظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص ٢١٣ .

٢- **مضافا**: نحو قوله تعالى: (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون) (يوسف: ٨٢)[1] أي: اسأل أهل القرية وأصحاب العير، فحذف المضاف (أهل) و (أصحاب) وأقام المضاف إليه مقامه. (أصبح المضاف إليه مفعولا به).

٣- **موصوفا**، نحو قوله تعالى: (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) (الإسراء: ٥٩) أي: آية مبصرة، فحذف الموصوف وهو (آية) وأقام الصفة مقامه.

٤- **صفة**، نحو قوله تعالى: (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) (الكهف: ٧٨-٧٩) أي سفينة صحيحة، فحذف الصفة وهي (صحيحة) وأقام الموصوف مقامها، وتقدّمها ما يدل عليها.

٥- **القسم أو جوابه**: فأما حذف القسم فنحو قولك: (لأجتهدَنّ) أي: والله لأجتهدَنّ وأما حذف جواب القسم فنحو قوله تعالى: (ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب) (ق: ١)، أي: والقرآن الكريم لتبعثن. وقد دلّ على جواب القسم المحذوف ما أتى به من ذكر البعث في قوله تعالى: ﴿أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد﴾ (الصافات: ٥٢).

٦- **جواب الشرط أو لو وشرطها**: وهذا من ألطف ضروب الإيجاز وأحسنها. فأمّا حذف جواب الشرط فنحو قوله تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا﴾ (الرعد: ٣١) أراد سبحانه: لكان هذا القرآن. وأما حذف لو وشرطها معا فنحو قوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ تقديره: إذ لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق..

---

(١) الحرض: القرب من الهلاك.

(٢) العير: اسم للإبل التي تحمل المتاع، وأريد بها هنا أصحابها.

٧- **حذف جملة أو أكثر، فأما حذف جملة فنحو قوله تعالى:** ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾ (الأنفال: ٨) أي: فعل ما فعل لـ.... وأما حذف أكثر من جملة فنحو قوله تعالى: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون. يوسف أيها الصدّيق أفتنا في سبع بقرات سمان ...﴾ (يوسف: ٤٦). أي: إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، ففعلوا، فأتاه، وقال له يا يوسف.

تدريبـــات

أ - بيّن مواضع إيجاز الحذف وقدّر ما حُذف منها، وأثر الإيجاز في قوة المعنى وجمالها في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿ولولا فضل عليكم ورحمته وأن الله توّاب رحيم﴾ (النور: ١٠).

٢- قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبـــرح قاعـــدا ... ولو قطّعوا رأسي لديك وأوصالي

٣- وقال البحتري:

في اخضرار من اللباس على أصـ ... ـفر يختال في صبيغة ورس

٤- قال المتنبي:

أتى الزمان بنوه في شبيبته ... فسرّهم وأتيناه على الهرم

٥- وقال عنترة :

يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم

٦- وقال عاصم المنقري:

رأيت الخمر جاهدةً وفيها ... خصالٌ تفسد الرجلَ الحليما

فلا والله أشربها حياتي ... ولا أسقي بها أبداً نديمـــا

	موضع إيجاز الحذف	المحذوف	الأثر المعنوي للحذف
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			

ب- وضّح رأيك في القيمة الفنية لإيجاز القصر في ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾.

٢- قال تعالى: ﴿والفلك تجري في البحر بما ينفع الناس﴾.

٣- قال تعالى: ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾.

٤- قال الرسول (ﷺ): الضعيف أمير الركب.

٥- وقيل: الطمع فقر واليأس غنى.

٦- قال أبو ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغّبتها وإذا تُرد إلى قليل تقنع

ثانياً - الإطناب

عرض الجاحظ للإطناب بقوله: "وقد بقيت - أبقاك الله - أبواب توجب الإطالة وتُحوج إلى الإطناب. وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة من الكلام ولم يقفْ عند منتهى البُغية". [1]

وقد حدّد ابن الأثير مفهوم الإطناب لغة بقوله: (هو في الأصل مأخوذ من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه، ويقال أطنب الريح إذا اشتدّت في هبوبها، وأطنب في السير إذا اشتدّ فيه) [2] ثم نراه يخلص من ذلك إلى تحديده اصطلاحا إذ يقول: "الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة" [3]؛ فالإطناب يعني زيادة ألفاظ في الجملة تحقق فائدة في المعنى، فإذا لم تحقق تلك الفائدة فهي تطويل سخيف وحشو لا مسوّغ له، لا يستحق أن نُسميه إطنابا، لأن الاطناب أسلوب بلاغي يُحقق المتعة والفائدة.

والإطناب كما أوضح البلاغيون يأتي في الكلام على أنواع مختلفة، وله مقاصد وأغراض بلاغية منها:

١- الإيضاح بعد الإبهام:

وذلك لإظهار المعنى في صورتين مختلفتين: إحداهما مجملة مبهمة والأخرى مفصّلة موضّحة؛ مما يزيد المعنى تمكّنا من النفس، فضلاً عن اكتمال لذّة العلم به، ومثاله قوله تعالى: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ (الحجر: ٦٦)، أي أوحينا إلى لوط ذلك الأمر المفضي فيه وهو إهلاك قومه، وهذا إيضاح للإبهام في لفظ (الأمر).

ومن الإيضاح بعد الإبهام التوشيع؛ وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى

---

(١) انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ٢٧٣-٢١٢ .

(٢) انظر: القزويني، التلخيص، ٢١٦ .

(٣) الحيوان، ج ٦ ص ٧ .

مفسّر باسمين ثانيهما معطوف على الأول، نحو قول الرسول (ﷺ): "يشيب ابن آدم وتشبّ معه خصلتان: الحرص والأمل"[1]، ونحو قول شوقي:

ودخلتُ في ليلين: فرعِكِ والدُّجى ولثمتُ كالصُّبـــــح المنّور فاكِ

٢- ذكر الخاص بعد العام:

والغرض البلاغي منه التنبيه على فضل الخاصِ، حتى كأنه ليس من جنسه. نحو قوله تعالى في وصف ليلة القدر: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم﴾ (القدر: ٤-٥). وبهذا يكون (الروح) وهو جبريل قد خُصَّ بالذِّكر مع أنه داخل في عموم الملائكة تكريما له وتعظيما لشأنه كأنه جنس آخر.

٣- ذكر العام بعد الخاص:

والغرض من ذلك هو إفادة العموم مع العناية بشأن الخاص لذكره مرتين، مرة على وجه الخصوص، وأخرى داخل اللفظ العام. نحو قوله تعالى: ﴿وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم﴾ (آل عمران: ٨٤)، فالآية الكريمة تخص بالذّكر موسى وعيسى عليهما السلام، ثم تذكر النبيين بعدهم.

٤- التكرير لفائدة:

وحدّه دلالة اللفظ على المعنى مكررا لغايات بيانية منها:

- تأكيد الإنذار نحو قوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ (التكاثر: ٣-٤). وفي (ثُمَّ) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ.

- وإظهار التحسر والألم، كقول عكّاشة بن عبد الصمد:

أَنُعيمُ سيدتي عليك تقطّعتْ نفسي من الحسرات والأحزانِ

أُنعيمُ مثّلكِ الهُيام لمقلتــــي فكأنني ألقاك كُلَّ مكـــــانِ

فالشاعر يتغزّل في محبوبته نُعيم ويكرر اسمها إظهارا للأسى والتحسر عليها، فقد تولّه بها.

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، حديث رقم ١١٥ .

- وطول الفصلِ، نحو قوله تعالى: ﴿لا تحسبَنَّ الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ (آل عمران: ١٨٨) فكرّر سبحانه (لا تحسبنهم) لطول الفصل بين الأول ومتعلقه (بمفازة من العذاب) وخشية أن يكون الذّهن قد غفل عمّا ذُكر أولا.

٥- الإيغال:

وهو ختم البيت الشعري بما يفيد نكتة يتم المعنى من دونها كزيادة معنى البيت وإعطائه قافيته، نحو قول الخنساء في أخيها صخر:

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهُداة به   كأنه علم في رأســـه نار

فالشاعرة بعد أن شبّهت أخاها بالعَلَم (الجبل المرتفع المعروف بالهداية) أوغلت بذكر (في رأسه نار) فزادت في المعنى وجعلت في رأس الجبل نارا، مُعطية البيت قافيته.

٦- الاحتراس:

ويكون حينما يأتي المتكلم بمعنى قد يُلام فيه، فيفطن لذلك ويأتي بما يخلصه منه. نحو قول كُثيِّر في مدح الخليفة عمر بن عبد العزيز:

فلما أتاكَ المُلْكُ عفوا ولم يكــن   لطالب الدنيا بعده منَ تكلُّـــمِ

تركت الذي يفنى وإن كان مُؤنقا   وآثرت ما يبقى برأيٍ مُصَمِّـــمِ

فالاحتراس في البيت الأول هو في كلمة (عفواً) فلو حُذفت لظنّ السامع أن المُلك قد أتاه بعد أن كَدَّ في طلبه، ولكن الشاعر سارع بالقول (عفواً)؛ ليبين أن عمر لم يسْعَ للخلافة قط، بل أتته غير منقادة.

٧- الاعتراض:

وهو أن يُؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لفائدة غير دفع الابهام.

ومن أغراض الإطناب البلاغية بالاعتراض:

أ - **التنبيه على أمر من الأمور**، ومنه قول ابن الرومي:

كنت أرجو حصاده فأتاه　　　　- قبل أن يبلغ الحصادَ - حصادُ

فقد اعترض الشاعر بين الفعل والفاعل بقوله: (قبل أن يبلغ الحصاد) والغرض من الاعتراض هنا التنبيه على عظم المصاب وشدّه تأثيره في نفسه؛ وكان الجراد قد أتى على زرعه.

ومنه قول الشاعر:

واعلم - فعلم المرء ينفعه -　　　　أن سوف يأتي كل ما قدرا

فقد اعترض بين الفعل ومفعوله بقوله (فعلم المرء ينفعه) لينبّه على فضل العلم وعظيم نفعه للإنسان.

ب - **التنزيه**، ومنه قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله النبات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ (النحل: ٥٧). فقوله تعالى: "سبحانه" جملة اعتراضية تنزه المولى جلَّ شأنه عما نُسب إليه.

ج - **الدّعاء**، ومنه قول المتنبي:

وتحتقـــر الدنيا احتقــار مجــرّبٍ　　　　يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا

فقوله: (وحاشاك) إطناب بالاعتراض للدعاء، وهو حسن في موضعه.

د - **التعظيم**، ومنه قوله تعالى: ﴿فلا أُقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ فجملة (لو تعلمون) معترضة، والغرض منها تعظيم القسم بمواقع النجوم.

هـ - **التحسّر**، ومنه قول ابن الرومي:

وإني - وإن مُتِّعتُ بابنيَّ بعده -　　　　لذاكره ما حنَّت النِّيبُ في نجدِ[1]

(١) النيب: النياق المسنَّة، والمقصود الأمهات. ونياق نجد تحنُّ إلى فصيلها إذا ابتعد عنها حنيناً لا ينقطع.

فقوله: "وإن مُتّعت بابنيٍّ بعده" جملة اعتراضية، والغرض هو إظهار الأسى والتحسّر على أن ابنيه لا يسدان مكانه.

٨- التذييل:

وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها. والغرض البلاغي هو التأكيد. وهو ضربان:

أ - **تذييل جارٍ مجرى المثل**: نحو قوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون× كل نفس ذائقة الموت﴾ (الأنبياء: ٣٤ و ٣٥).

فقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (آل عمران: ١٨٥) تذييل جار مجرى المثل، إذ يتضمّنً المعنى الذي سبقه؛ ولكنه مستقل بمعناه بحيث يُفهم الغرض منه مباشرة.

ومنه قول النابغة الذبياني :

ولستَ بمستبقٍ أخــا لا تلمُّــه على شعث أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

فقوله: "أي الرجال المهذب" تذييل جار مجرى المثل، فيه تأكيد لما قبله، ولكنه مستقل عنه.

ب- **تذييل لا يجري مجرى المثل**: نحو قوله تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾ (النبأ: ١٧) فقوله تعالى: ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾ تذييل لقوله: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا﴾ وقد جاء هذا التذييل توكيدا لما قبله لاشتماله على معناه، ولكنه غير مستقل بمعناه، ولا يفهم الغرض منه إلا بما قبله.

تدريبـــــات

أولا: بيّن مواقع الإطناب وأنواعه والغرض منه في ما يأتي من الآيات الكريمة:

١- قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (آل عمران: ١٠٤).

٢- وقال تعالى: ﴿وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ (الانفطار: ١٧-١٨).

٣- وقال تعالى: ﴿أمدكم بما تعلمون أمدّكم بأنعام وبنين﴾ (الشعراء: ١٣٣).

٤- وقال تعالى: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء﴾ (يوسف: ٥٣).

٥- وقال تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين× فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدّت للكافرين﴾ (البقرة: ٢٣-٢٤).

٦- وقال تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ (الأحزاب: ٤).

٧- قال تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبّه﴾ (الإنسان: ٨).

٨- قال تعالى: ﴿واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ (طه: ٢٢).

١	
٢	
٣	
٤	
٥	
٦	
٧	

ثانياً - بيّن مواقع الإطناب وأنواعه والغرض منه في ما يأتي من الأبيات:

١- قال طرفة بن العبد:

فسقى ديارك غير مفسدها صَوْبُ الربيع وديمة تهمي

٢- قال عوف بن مُحلَّم الشيباني بشكو كبره وضعفه:

إن الثمانين - وبلّغتها - قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

٣- قال الحطيئة:

نزور فتى يعطي على الحمد ماله ومن يُعط أثمان المكارم يحمد

٤- قال بشار بن برد:

إذا أنت لم تشرب مررا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه؟

٥- قال ابن الرومي:

وما الحسب الموروث - لا دَرَّ بمحتسب إلا بآخر مكتسب

٦-دوّقال الشاعر:

حليمٌ إذا ما الحلمُ زيّن أهلَه مع الحلم في عين العدوّ مهيبُ

٧- وقال ابن المعتز:

صبَبْنا عليها ظالمين سياطَنا فطارتْ بها أيدِ سراع وأرجلُ

٨- وقال آخر:

ما أحسنَ الأيامَ إلاّ أنها يا صاحبَيَّ إذا مضتْ لا ترجعُ

٩- وقال آخر:

والسعيُ في الرزق والأرزاق قد قسمتْ بغي ألا إنّ بغي المرء يصرعه

	موضع الإطناب	نوعـــه	غرضـــه
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			

ثالثاً - المساواة

يرى البلاغيون القدماء أن المساواة هي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني، وقد انتهى حديثهم حولها إلى اتجاهين؛ هما:[1]

- أنّ المساواة مذهب متوسط بين الإيجاز والإطناب وإلى ذلك ذهب أبو هلال العسكري والسكاكي والقزويني وشُرّاح التلخيص.
- أنّ المساواة داخلة في قسم إيجاز القصر، وإلى ذلك ذهب ابن الأثير وسمّاه (الإيجاز بالتقدير)، وعرّفه بأنه "ما ساوى لفظه معناه".[2]

وفي ما يأتي أمثلة على (المساواة) تزيدها وضوحا:

١- قوله تعالى: ﴿من كفر فعليه كُفره﴾ (الروم: ٤٤) فهذه كلمة جامعة تغني عن ذكر ضروب من العذاب، لأن من أحاط به كفره فقد أحاطت به كل خطيئة.

٢- قول الرسول (ﷺ): "لا تزال أُمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والزكاة مغرما". فالألفاظ هنا مساوية للمعاني، وكل زيادة أو نقص فيها إخلال بالمعنى.

٣- ومن المساواة شعراً قول النابغة الذبياني:

وإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

٤- ومن المساواة أيضا مقطوعة أبي نواس في وصف آثار مجلس شراب إذ يقول:

ودار ندامى عطّلوها وأدلجوا بها أثرٌ منهم: جديدٌ ودارسُ

---

(١) ابن الاثير، المثل السائر ص ٢١٧و ٢١٨ .

(٢) م. ن.

مساحبُ من جرِّ الزّقاق على الثرى | وأضغاث ريحان: جنـــيٌّ ويابسُ
حبست بها صحبي فجدَّدْت عهدهم | وإني على أمثال هذا لحابسُ
تُدار علينا الرّاحُ في عسجدية | حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها | مهاً تدّريها بالقسيِّ الفوارس
فللراح ما زُرَّت عليه جيوبهم | وللماء ما دارت عليه القلانسُ

وهي أبيات قال فيها الجاحظ: (لا أعرف شعرا يفضل هذه الأبيات).

ويرى بعض دارسي البلاغة في العصر الحديث أن المساواة هي الأصل في التعبير؛ لأنها تدل على الوضع اللغوي للكلمة. أما الأمثلة التي ساقها القدماء للمساواة فبعضها أقرب إلى الإيجاز وبعضها أقرب إلى الإطناب؛ فمن الصعب أن تكون الألفاظ محكمة على قدر المعاني كأنها قوالب لها[١]. ومن هذا المنطلق استبعدت المساواة من التقسيم الثلاثي، لأنها الأصل في التعبير، فهي ترتبط بالأسلوب التقريري النمطي الذي يتقيّد بالمعنى الموضعي دون أن تتجاوزه لتحقيق قيم فنية في التعبير الأدبي.

ومن ثَمَّ فإن الإيجاز والإطناب ينبغي أن يكونا محل الدرس البلاغي لقيمتهما التعبيرية[٢].

(١) انظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات، ١/ ٢٢٤.
(٢) ابن الأثير، المثل السائر، ص ٢١٢.

أسئلة التقويم الذاتي

١- عرّف كُلاً من: إيجاز القصر، إيجاز الحذف، الإطناب، المساواة.

إيجاز القصر : ____________________

إيجاز الحذف: ____________________

الإطناب : ____________________

المساواة : ____________________

٢- اذكر خمسا من صور الإطناب.

____

____

____

____

____

تدريبـــــات

اقرأ الأمثلة الآتية ثم عقّب عليها مبيّنا ما فيها من مساواة:

١- قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القُربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (النحل: ٩٠).

٢- من حديث مطوّل يتضمّن سؤال جبريل عن الإحسان قوله: (ما الإحسان؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

٣- قال جرير:

ولما قضينا من منى كل حاجة	ومسَّح بالأركان من هو ماسح
وشُدَّتْ على دُهم المطايا رحالنا	ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا	وسالت بأعناق المطيِّ الأباطح

٥- قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزّنى إنه كان فاحشةً وساء سبيلا﴾ (الإسراء: ٣٢).

٦- قَول الرسول عليه الصلاة والسلام في كتابه إلى النجاشي ملك الحبشة: (إني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني).

الوحدة الثالثة عشرة

البلاغة والأسلوبية

الوحدة الثالثة عشرة

البلاغة والأسلوبية

الأسلوب

تدل كلمة (أسلوب) في أصل وضعها اللغوي على نسق مستقيم، على هيئة السطر تُوزّع فيه أشجار النخيل. ثم استعملت اصطلاحا للدلالة على الطريقة الفنية التي يسلكلها الصانع في صنعته؛ فلكل أديب طريقة خاصة في التعبير عن شخصيته الأدبية سواء في اختيار المفردات أو في صياغة التراكيب. ولا يقف الأسلوب عند الجملة، وإنما يتناول الموضوع المتكامل قصة أو مسرحية أو بحثا.

ومن أوائل الذين استعملوا هذه الكلمة أبو بكر الباقلاني (- ٤٠٢ هـ)، في مجال حديثه عن الإعجاز القرآني، إذ أرجع هذا الإعجاز إلى أسلوبه الذي لا تفاوت فيه. وتبعه في ذلك عبد القاهر الجرجاني (- ٤٧١ هـ) الذي أرجعه إلى طريقة نظمه وتأليفه، ولكن الجرجاني توسَّع في حديثه عن نظرية المعاني، وحدَّدها بقوله: (واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها)[1]. وهذا النظم هو أساس الجمال في الشعر والنثر، إذ تناول مصطلح الأسلوب في أثناء عرضه لموضوع الاحتذاء في الشعر،

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٢٧٤ .

بقوله: "واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبا - والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه - فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجئ به في شعره"[1] .

وقد تلقّف أحمد الشايب مفهوم النظم عند عبد القاهر، واتكأ عليه في تعريف الأسلوب الأدبي إذ يقول: (إنه طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه)[2]، فهو في تعريفه (يركّز مفهوم الأسلوب في التركيب اللغوي نفسه مع ربطه بقدرة مبدعه على الاختيار على طريقة خاصة في التأليف بين الألفاظ، وبالغرض الذي يقصد إليه المتكلم)[3].

إنّ مفهوم الأسلوب لا ينفصل عند عبد القاهر عن نظرية النظم، وهو يتفرَّد بين البلاغيين والنقاد العرب باستعمال مصطلح الأسلوب[4]، مع أنه لم يستعمله إلا في موضع واحد في "دلائل الإعجاز".

وقد استعملت كلمة (Style) في الآداب الغربية للدلالة على مصطلح (الأسلوب)، بوصفه الطريقة الفنية المتبعة في التعبير عن الفكرة. ومن أقوالهم المشهورة فيه (الأسلوب هو الإنسان)؛ بمعنى أنَّ لكل كاتب أو شاعر أسلوبه الخاص الذي يمتاز به عن غيره.[5] ومنَ ثمَّ نستطيع أن نُعرّف الأسلوب بأنه "السِّمة التي يتجلّى طابعها على الأديب في مناهجه التي يسلكها لأداء مقاصده[6]، وذلك باستعمال خاص للغة يقوم على مجموعة من الاختيارات

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٤٦٨
(٢) أحمد الشايب، الأسلوب، ص ٤٤
(٣) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص ٩٤
(٤) انظر: شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، ص ٢٢
(٥) انظر: محمد بركات أبو علي، علم البلاغة، ص ٣٧٨- ٣٨٦
(٦) رئيف خوري، الأدب المسؤول، ص ١٣٢

والإمكانات والبدائل التي يُتيحها النظام اللغوي للأديب، بهدف التأثير في القارئ، وجعله أكثر عُرضة لتقبل الإرسالية المعنوية في النص الأدبي[1].

أقسام الأسلوب

قسّم الدارسون الأسلوب إلى ثلاثة أقسام[2]:

١- **الأسلوب الخطابي الذي يعتمد على العبارات الجزلة القوية، والألفاظ** المنتقاة، والجمل المرصوفة الرصينة، والنبرات المتنوعة المؤثرة، والتكرار والتنوع في طرق الإلقاء.

٢- **الأسلوب العلمي**: ويقوم على قوة الحجة وإبراز الدليل والبرهان لفرضية ما، مع قوة في الإقناع، فضلاً عن ترتيب منطقي للأدلة، مع قوة وذكاء في دفع أية شبهة تثار.

٣- **الأسلوب الأدبي**: ويتَّصف بالعبارة الرقراقة السلسة، وجمال التصوير، ورقة التعبير؛ لأنه يهدف إلى الإمتاع، وإيقاظ المشاعر. وهناك ستة أشكال لهذا الأسلوب هي: أسلوب العرض (في المقال الموضوعي والشعر التعليمي، وأسلوب الجدل (في الخطابة السياسية والشعر السياسي)، وأسلوب الحض (في الخطابة الوعظية)، وأسلوب الوصف (في الكتابة الأدبية والشعر)، وأسلوب القصص (في القصة والرواية)، وأسلوب الحكاية أو الحوار (في المسرحية). ولا شك في أن هذه الأساليب اجتمعت في القرآن الكريم، وهذا من أسرار إعجازه.

ويرى بعض الباحثين أن الأسلوب التام هو الذي تراعى فيه ثلاث مطابقات، هي:

---

(١) انظر: محمد بركات أبو علي، علم البلاغة، ص ٣٧٨ وما بعدها.

(٢) انظر: فضل حسن عباس، علم المعاني، ص ٦٩ .

١- مطابقة الأسلوب للموضوع الذي يحدّث عنه.
٢- مطابقة الأسلوب لعقلية القارئين والسامعين.
٣- مطابقة الأسلوب لنفس المتكلم أو الكاتب.[١]

وتشترك هذه الأساليب الثلاثة في الصورة (القالب اللفظي الذي توضع فيه المعاني)؛ وفي المعنى، وهما أمران مهّمان لا يستغني أحدهما عن الآخر في الأسلوب.

الأسلوبية

حلَّت الأسلوبية - في الآداب الغربية - محل البلاغة القديمة، وأُطلق عليها في الغرب (Styles stics)، وقد عرَّفها (جورج مونان) بقوله: (الأسلوبية هي الدراسة العلمية للصفات اللغوية في بلاغ ما عندما تؤدي وظيفة شعرية أو أدبية، أو - بصفة أوسع - جمالية، فضلا عن وظيفتها الإبلاغية العادية[٢] .

وتختلف الأسلوبية عن دراسة اللغة، فهذه تقتصر على تأمين المادة التي يعمد إليها المتكلم أو الكاتب ليفصح بها عن فكرته. أما الأسلوبية فتعنى بدارسة لغة الفرد في استعمالاتها المعيّنة لهذه اللغة، فترشدنا إلى اختيار ما يجب أخذه من هذه المادة للتوصُّل إلى نوع معين من التأثير في السامع أو القارئِ، شريطة احترام ما اتفق عليه العلماء من مدلولات لفظية، وقواعد صرفية ونحوية وبيانية[٣] .

ولا بد للمحلّل الأسلوبي أن يعرف هذه المدلولات ليسبر أغوار أسلوب الأديب، وبذلك "يتجلّى الواقع الأسلوبي واقعا لغويا يحمل طابع مبدعه الذاتي ويعبّر عن عالمه الداخلي ورؤيته للعالم)[٤] .

(١) انظر: محمد بركات أبو علي، علم البلاغة، ص ٣٨٠
(٢) انظر: م. ن، ص ٣٨٢
(٣) انظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص ٢٠ - ٢١
(٤) انظر: حسام اللحام، أثر نظرية النظم في الدرسات الأسلوبية، ص ٤٦

إن المحلل الأسلوبي يستقصي ما في النص من طاقة إنشائية وإبداعية، ويوضّح لنا أدبية هذا الأديب. ولكن الأسلوبية ليست منهجا واحدا أو شكلا واحدا من أشكال التعامل مع الأدب، وإنما تسودها اتجاهات أبرزها[1]:

- اتجاه يمثله اللغوي السويسري "شارلز بالي- ١٩٤٧" وهو أحد تلاميذ (فردناند دو سوسير) وجامع محاضراته: (دروس في الألسنية العامة) وقد اتسمت دراسة شارلز بالي بالعقلانية والجفاف مما حتَّم على الذين ساروا على خُطاه التخفيف من الطابع العلمي للأسلوبية والاقتراب بها من الدرس الأدبي.
- واتجاه يمثله اللغوي النمساوي "ليو سبتزر" الذي عُني بالعلائق بين خصائص الأسلوب في نصوص معيّنة والحالة الوجدانية المسيطرة على صاحبها، عند وضعها.

وقد أوضح علماء اللسان مجالات الدرس الأسلوبي منها:

- دراسة التفاوت بين كاتب وآخر في تفضيل بعض وسائل اللغة على بعض. فثمة طريقتان في الكتابة:

١- كتابة حيادية لا يُعنى فيها الكاتب بتفضيل أي من وسائل اللغة على غيرها.

٢- كتابة انتقائية يعتمد فيها الكاتب على انتقاء وسائل لغوية تجعل كتابته مؤثرة ذات محتوى جمالي.

وقد اتبع "بيار جيرو" (-١٩٥٤) منهجا إحصائيا في استقصاء تلك الوسائل، في حين اهتم بعض الأسلوبيين بالانحراف الدلالي أو العدول عن أصل الوضع منهم: "جاكبسون" و"ريفايتر". وهذا الانحراف يتميز به اختيار الشاعر للألفاظ، فقول أحدهم: "يتحرّك الغصْنان" قول حيادي، لا هدف له سوى نقل الخبر، أما قول كاتب آخر: "ناجى الغصن صاحبه" فقول لا يكتفي بنقل الخبر، وإنما هو قول يصوغ خبره صياغة جمالية.

إن أي عدول بالكلمة - كما يرى "مارتنيه" - لا تصحبه وظيفة إنشائية

(١) انظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص ٢١

وتعبيريّة يعدّ تلاعبا بالألفاظ لا تأثير له في أسلوب أو بيان. والوظيفة الإنشائية للنص مرتبطة ارتباطا وثيقا بالوظيفة العاطفية للكلام، إذ هي ترتبط بشيء غير خاضع دائما للنشاط الواعي للإنسان. ولهذا ليست كل صياغة محكمة أسلوبا بالضرورة وليست موضوع تأمل لدى الدارس الأسلوبي[1].

البلاغة العربية والأسلوبية

يُعدّ أبو بكر الباقلاني (- ٤٠٢ هـ) من أقدم البلاغيين العرب حديثا عن الأسلوب إذ يقول: "فإنه لا يخفى على أحد أن نُميّز سبك أبي نواس من سبك ابن الرومي، أو سبكه من سبك البحتري، ولا يخفى على أحد أن يميز بين شعر الأعشى وشعر امرئ القيس، أو بين شعر النابغة وشعر زهير أو بين شعر جرير وشعر الأخطل، فلكلٍّ منهج معروف، وطريق مألوف)[2]. وقد استعمل كلمة (الأسلوب) في نعت تلك الطريقة غير مرة.

والباقلاني يخلص من ذلك كله إلى أن القرآن الكريم يتفرّد بأسلوبه، ويتجاوز أساليب العرب كونه كلام الله الذي ليس كمثله شيء فهو "معجز في أسلوبه الذي يسير على سنن ونمط متجانس، دون اختلال، أو اضطراب، أو تفاوت بين سورة وسورة، أو آية وآية، أو موضوع وموضوع، فهو على الدوام منفرد بذلك الأسلوب"[3].

أما ابن سنان الخفاجي (- ٤٦٦ هـ) فقد التفت إلى ومضة أساسية في فهم التبليغ من خلال أسلوب، تُسمى (المواضعة) إذ يقول: "اللغة عبارة عما تواضع القوم عليه من الكلام"[4].

وتهدف هذه المواضعة إلى "تجنُّب كل ما يثقل على الناطق تكلّفه والنطق به" وبذلك تقدمت اللغة العربية على جميع الأمم. ويقوم الأسلوب عنده على

(٢) انظر: محمد بركات أبو علي، علم البلاغة، ص ٣٨٣ وما بعدها.

(٣) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ١٢١

(٤) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ,٢٠٥

(١) ابن سنان، سر الفصاحة، ص ,٥١

الجمع بين الفصاحة والبيان، وليس ذلك فحسب بل لا بد أن يكون للأسلوب غاية، وهذه الغاية فردية وجماعية، تجمع بين الدنيا والآخرة، ويوجّه الأسلوب نحو الالتزام إذ يقول: (إن الناس قد أكثروا من الدلالة على شرف الفصاحة، وعظَم قدر البيان والبلاغة، ونبهوا بطرق كثيرة، وألفاظ مختلفة"[1] . وتنبه أيضاً إلى أن الأسلوب صورة للواقع الاجتماعي الذي هو جزء من الواقع النفسي بقوله: "يحكي من أشعار أصحاب المهن واستعمالاتهم لألفاظ صناعاتهم ومعانيها في ما ينظمونه أو ينثرونه"[2] .

وتجلّى مفهوم الأسلوب عند عبد القاهر الجرجاني ضمن مفهوم أكثر شمولا هو النظم، منطلقا من فكرة الإعجاز القرآني "وعن هذا الطريق أسهم في توضيح البلاغة - على نحو لم يسبق لم مثيل - كما أسهم في معالجة كثير من النظريات النقدية بمعدّات جديدة من الفحص الدقيق والتغلغل النافذ إلى بواطن الأمور"[3] ؛ فالنظم ضرب من النظر البلاغي الذي يرتكز أساسا على الأسلوب، لا يتأتى فيه الإعجاز من الألفاظ أو المعاني، وإنما يتأتى منهما معا، إذ هما بمنزلة الروح والجسد. ومن ثَمّ يتجاوز منهجه في تحليله الألفاظ ومعاني الكلام "إلى الأسلوب الذي يؤلّف بنية واحدة تتشكل من الألفاظ والمعاني والعلاقات بين الأشياء"[4]. وهذا استنتاج مستمدّ من قول عبد القاهر: ورأيته قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنعه الصانع حين يأخذ كسَراً من الذهب فيذيبها ثم يصبّها في قالب، ويُخرجها لك سواراً أو خلخالاً"[5].

وقف عبد القاهر في دراسته لأوجه التصرف بقواعد النحو عند مباحث تدخل في إطار قواعد النص (Text Grammar) مثل: التقديم والتأخير، والاستفهام، وتقديم المسند إليه على المسند، والفصل والوصل وغيرها.

وهذا فضلا عن تناوله أشكالاً من الانحراف الدلالي مثل: المجاز الحكمي

---

(1) ابن سنان، سر الفصاحة، ص ٥١
(2) م. ن، ص ١٦٠
(3) م.ن
(4) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٤١٩
(5) محمد البكاء، الأسلوب بين التراث والمعاصرة، ص ٣٣٦

(العقلي) والمجاز اللغوي، والاستعارة. ومما يقرب مبحثه من النظر الأسلوبي توكيده أن الاستعارة لا تحسن في كل استعمال ما لم تكن استجابة لمقتضى الحال.

وخلاصة القول: فإنّ عبد القاهر دَمَجَ النظر البلاغي في النظر الأسلوبي، وأوضح دور الانتقاء السياقي والنحوي في إشاعة العلاقات الأسلوبية التي تُحدث أثرا جيدا في المعنى والمبنى، وبذلك أصبحت نظرية النظم أهم مُنجز بلاغي في التراث العربي.

علم الأسلوب الحديث

يعدّ علم الاسلوب من العلوم المتفرعة من علم اللغة إذ ارتقى إلى مصاف العلوم المستقلة، واتّسع ميدانه، فشمل كل ما يتعلق باللغة من أصوات وصيغ، وكلمات، وتراكيب "ولكنه لا يزال غير محدّد ولا منظم، فهناك تجارب كثيرة وأفكار كثيرة تتخمّر، وفي الوقت نفسه لا يملك هذا العلم نظاما من المصطلحات مُسلّماً به، ولا تحديدا للغايات والمناهج مُتّفقا عليه"[1].

وللأسلوبية صلة وطيدة بعلم اللغة الحديث من جهة، وبعلم البلاغة العربية من جهة أخرى، لأن البلاغة زوّدتنا بمنهجية دقيقة ذات صلة بالأسلوب كالفصل والوصل، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، ومعرفة المجاز والاستعارة، والكناية، وأثر الجناس والمطابقة والمقابلة في إيجاد الطابع الإيقاعي المتقن في الشعر والنثر. وإذا كانت البلاغة القديمة قد نظرت إلى هذه العناصر الأسلوبية نظرة تجزيئية لا تعتمد رؤية العمل الأدبي رؤية شاملة، فإن الأسلوبية تجنّبت هذه النظرية بطريقتين:

الأولى: دراسة النص من خلال بنياته الإيقاعية والتركيبية وقواعد تنظيمية وما يتضافر في محاوره من تراسل دلالي وصوتي، فالناقد الأسلوبي يتأمل الخواص الإيقاعية والصوتية للحروف والكلمات، وذلك بتتبع تكرار الحروف في النص، وهو تكرار يتجاوز الرغبة في التأكيد على معنى بعينه إلى إشاعة شيء من التناسق والإتقان الصوتي الذي يترك أثرا قويا في النفس، فإذا قرأنا قول ابن الرومي:

هبّت سُحيراً فناجى الغصنِ صاحبه   موســـوساً وتنادى الطير إعلانــا
وُرْقٌ تُغنّــي علي خُضْــرٍ مُهدَّلَةٍ   تسمــو بها وتمسُّ الأرض أحيانا

وجدناه يكرر النون إحدى عشرة مرة، والسين والصاد ثماني مرات، والألف سبع مرات، والتاء خمس مرات. وهذا التكرار يغني التشكيل الصوتي للصورة الشعرية.

وقد يكرر الشاعر كلمة لغرضٍ صوتي وأسلوبي، نحو قول مالك بن الريب:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة   بجنب الغضا أُزجي القِلاصَ النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركبُ عرضه   وليت الغضا ماشى الركاب لياليا
وليت الغضا والأثل لم ينبتا معا   فإن الغضا والأثل قد قتلانيا
لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا   مزار ولكن الغضا ليس دانيا

فقد كرر الشاعر كلمة (الغضا) ثماني مرات، وجاء هذا التكرار تجسيدا لحالة الحزن المسيطرة عليه في شكل مد يتصاعد ويتفجّر من هذه الكلمة، مما أضفى على النص ضربا من التناغم الموسيقي وبثّ، تردد (الألف) امتدادا صوتيا بطيئا يتوافق مع الحالة النفسية للشاعر المحتضر.

وقد يكرر الشاعر تركيبا مؤلفا من بضع كلمات على نحو ما يلقانا في مقطوعة تنسب إلى ابن الرومي في عتاب القاسم إذ يقول:

ويا عجباً والدهر جَمٌّ عجيبه   أيُسكرُ ماءٌ حين لا تُسكر الخمر؟
ويا عجباً والدهر جَمٌّ عجيبه   أيُنبتُ طَلٌّ حين لا يُنبتُ القَطْرُ؟
ويا عجباً والدهر جَمٌّ عجيبه   أيُقمرُ نجمٌ حين لا يُقمرُ البدر؟
ويا عجباً والدهر جَمٌّ عجيبه   أَتَبْهَرُ نارٌ حين لا يَبهرُ الفجرُ؟

فالشاعر يكرِّر الشطر الأول في هذه المقطوعة ليؤكد تعجّبه وهو تعجب يوحي بالحسرة. ويكرر الاستفهام في الشطر الثاني من كل بيت فضلا عن تكرار الكلمات: يُنبت، يُقمر، تبهر. وهذا التناسق في التراكيب المتكررة

أعطى المقطع من ناحية الدلالة معنى الحسرة والألم، وفي الوقت ذاته أضفى على المقطوعة وحدة موسيقية وصوتية. وهذا التنغيم يأتي من التوازن التركيبي الذي بثه الشاعر في مقطوعته. إن القارئ لا ينفر من هذا التكرار، إذ نجح الشاعر في توظيفه في ربط تجربته بالايقاع الشعري.

والثانية: هي الطريقة الإحصائية التي تلجأ إلى دراسة معدل تكرار بعض العناصر الأسلوبية في نص معين أو في عمل أدبي متكامل كالقصة أو المسرحية، كدراسة نسبة تناول الحروف أو الكلمات أو نسبة الصّوائت إلى الصوامت.

ومن أبرز الاتجاهات الإحصائية في علم الأسلوب ما يعرف باسم (معادلة بويزمان) وبويزمان عالم ألماني عرف بدراساته الأسلوبية في الأدب الألماني، وتقوم هذه الدراسات على محورين:

أولهما هو التعبير بالحدث (Active Aspects)، أي الكلمات والجمل. والثاني التعبير بالوصف (Qualitive Aspects) أي الكلمات التي تعبر عن صفة مميزة لشيء ما أو تصف هذا الشيء وصفا كميا أو كيفيا. وبحسب هذا المشروع يتم احتساب عدد التراكيب التي تنتمي إلى النوع الأول، واحتساب عدد الكلمات أو التراكيب المنتمية إلى النوع الثاني، ويعطينا حاصل القسمة قيمة عددية تزيد أو تنقص تبعا لزيادة أو نقص عدد كلمات المجموعة الأولى مع المجموعة الثانية، وتستعمل هذه القيمة للدلالة على أدبية الأسلوب.

وتعتمد هذه الدارسة على حساب عدد الافعال وقسمتها على عدد الصفات للخروج بحاصل هو: نسبة الفعل إلى الصفة (ن. ف. ص).

ومن الدراسات التي توضح لنا هذه الفكرة المعطيات الرقمية التي حصل عليها الأسلوبيون من خلال تطبيق الطريقة الإحصائية على كتاب (الأيام) لطه حسين، وكتاب (حياة قلم) للعقاد وخلاصتها:

- نسبة الجمل الفعلية إلى الوصفية في كتاب (الأيام) هي ٣٩٪ في حين أنها في كتاب (حياة قلم) ١٨٪.
- إن كتاب (الأيام) أقرب إلى الأسلوب الانفعالي والحركي، في حين يغلب الطابع الذهني والعقلي على كتاب (حياة قلم).

- إن أسلوب (الأيام) أكثر حساسية واستجابة لتنوّع الموضوع، في حين تبدو الصفات الشخصية للعقاد هي التي تحتل مركز الاهتمام، مما يُضعف أثر التغيير والحركة فيه.
- في ضوء هذه الأرقام يمكن أن نقول: إن ارتفاع نسبة الفعل إلى الصفة في كتابات طه حسين تمثل فارقا أسلوبيا يميزه عن العقاد الذي تقل فيه هذه النسبة.

وبهذا تكون الأسلوبية قد طرحت بديلا لدراسة الأعمال الأدبية دراسة تقليدية تعتمد على استقصاء العوامل المؤثرة في المنشئ أو مطابقة مضمون النص للتجربة الإنسانية الأخلاقية أو العاطفية أو السياسية. وأصبح غرض الناقد الأسلوبي هو النص بما يحتويه من علاقات ونسيج لغوي متشابك يجعل من النص الأدبي نصّاً قادرا على تحقيق الأثر لدى القارئ[1] .

أسئلة التقويم الذاتي

١- ما الأسلوب لغة واصطلاحا؟

____

____

٢- من العلماء العرب الذين استعملوا مصطلح الأسلوب؟

____

____

____

٣- ما المقصود بالانحراف الدلالي، ولماذا لا يعد كل عدول أسلوبا؟

____

____

(١) انظر: محمد بركات أبو علي، البلاغة العربية ص ٣٩٨ وما بعدها.

٤- ما الرابطة بين الوظيفة الإنشائية والوظيفة العاطفية؟

٥- تحدَّث عن الإعجاز القرآني عند الباقلاني من خلال حديثه عن الأسلوب.

٦- تعدّ نظرية النظم أكبر منجز بلاغي في التراث العربي. ناقش هذا الرأي من خلال دراستك لهذه النظرية.

٧- كيف تجنَّبت الأسلوبية النظرة البلاغية التجزيئية للعمل الأدبي؟

تدريبـــــات

التدريب الأول :

اقرأ قول ابن الرومي وادرس ما فيه من تكرار الحروف والكلمات مبيّناً نوعه، وموضحا أثره في المعنى وفي إشاعة التناسق الصّوتي:

أيها الهاربُ من دهـــــره　　　أدركك الدهر على خيله

تكرار الحروف : ________________________________

____

تكرار الكلمات : ________________________________

____

نوع هذا التكرار: ________________________________

الأثر في المعنى : ________________________________

____

____

التدريب الثاني :

اقرأ الأبيات الآتية من معلقة عمرو بن كلثوم، وادرس ما جاء فيها من تكرار في الحروف والكلمات، وتأثيرها في أسلوبه الشعري:

وقـد عـلـم الـقـبـائـلُ مـن مَـعَـدٍّ　　　إذا قُـبَـبٌ بـأبـطَـحِـهـا بُـنـيـنـا

وأنّـا الـمـانـعـون لـمـا أردنـا　　　وأنـا الـمـهـلـكـون إذا ابـتـلـيـنـا

بـأنّـا الـمـطـعـمـون إذا قـدرنـا　　　وأنـا الـنـازلـون بـحـيـث شـيـنـا

وأنـا الـتـاركـون إذا سـخـطـنـا　　　وأنّـا الآخـذون إذا رضـيـنـا

ونـشـرب إن وردنـا الـمـاء صـفـواً　　　ويـشـرب غـيـرنـا كـدراً وطـيـنـا

التكرار في الحروف : ______________________

____

التكرار في الكلمات : ______________________

____

____

الأثر الأسلوبي : ______________________

____

التدريب الثالث :

اقرأ النص الآتي لابن الرومي وانظر ما ورد فيه من تكرار مبيّنا نوعه وتأثيره في إبراز القيمة الأدبية للنص:

كيف العزاء عن الشبا ... بِ وغصنه الغصن النّضير؟

كيف العزاء عن الشبا ... بِ وعيشه العيش الغرير؟

بان الشباب وكان لي ... نِعْمَ المجاورُ والعشير

بان الشباب فلا يَدٌ ... نحوي ولا عينٌ تُشيرُ

ولقد أَسَرْت به القلو ... بَ فقلبيَ اليومَ الأسيرُ

التكرار في الحروف : ______________________

____

____

نوع التكرار : ______________________

تأثيره في القيمة الأدبية: ______________________

____

المصادر والمراجع

١- ابن الاثير ضياء الدين، **المثل السائر في ادب الكتاب والشاعر**، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٥٩-١٩٦٢ .

٢ - الباقلاني، أبو بكر محمد بن القاسم، **إعجاز القرآن**، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٥٤ .

٣ - البكاء، محمد، **الأسلوب بين التراث والمعاصرة** (ضمن كتاب مصادر ثقافة الشاعر الحديث)، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩ .

٤ - البياتي، سناء، **نحو منهج جديد في البلاغة والنقد**، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، الطبعة الاولى، ١٩٩٨ .

٥ - الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر،

أ - **البينان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٠

ب - **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٠ .

الجرجاني، عبد القاهر،

٦ - **دلائل الاعجاز**، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة مكتبة الخانجي، ١٩٧٨

الزمخشري، محمود بن عمر،

٧ - **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، ط١، ١٩٣٥ .

٨ - أبو زيد، سامي، **ابن الرومي** (دراسة تحليلية)، أطروحة دكتوراه، جامعة القديس يوسف، ١٩٩٧ .

٩ - الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، **رسالة النكت في إعجاز القرآن** (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله وزغلول سلام، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، د.ت.

١٠ - السكاكي، أبو يعقوب يوسف، **مفتاح العلوم**، تحقيق أكرم عثمان يوسف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٢ .

١١ - ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبدالله الحلبي، **سر الفصاحة**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٨٢ .

١٢ - السيد، شفيع، **الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٦

١٣ - السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، **عقود الجمان**، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥ .

١٤ - الشايب، أحمد، **الأسلوب**، الإسكندرية، المطبعة الفاروقية، الطبعة الثامنة، ١٩٩٠ .

١٥ - العبادي، أحمد مختار، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨ .

١٦ - عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وافنانها**، عمان، دار الفرقان، الطبعة الاولى، ١٩٨٧ .

١٧ - العباسي، عبدالرحيم بن أحمد، **معاهد التنصيص**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، عالم الكتب، لا. طب، ١٩٤٧، مجلّدان، ٤ أجزاء.

١٨ - عبد المطلب، محمد، **البلاغة والاسلوبية**، القاهرة، ١٩٨٤ .

١٩ - عبدالنور، جبور، **المعجم الأدبي**، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٧٩ .

٢٠ - عتيق، عبد العزيز، **في البلاغة العربية** (علم المعاني)، بيروت دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٧١ .

٢١ - أبو علي، محمد بركات، وابو حمدة، محمد علي، **علم البلاغة**، عمان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ .

٢٢ - القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن،

أ - **الايضاح**، القاهرة، طبعة محمد على صبيح، ١٩٦٦ .

ب - **التخليص في علوم البلاغة**، شرح عبد الرحمن، البرقوقي، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.

٢٣ - اللحام، حسام، **أثر نظرية النظم في الدراسات الأسلوبية**، عمان، دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ .

٢٤ - مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، بغداد، دار الجاحظ للنشر، ١٩٨٣ .

٢٥ - ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، **لسان العرب**، بولاق، ١٣٠٨هـ، ١٠ مجلدات، ٢٠ جزءاً.

٢٦ - **الهاشمي**، أحمد، **جواهر البلاغة**، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٦ .

٢٧ - يحيى بن حمزة العلوي اليمني، **الطراز**، بيروت، دار الكتب العلمية، لا، طب، ١٩٨٠ .

البلاغة العربية

علم المعاني



العبدلي- مقابل البنك العربي- عمارة الددو
هاتف 5695611 فاكس 1208 568 6 962+
ص.ب 927385 الرمز البريدي 11190
عمان - الأردن
e-mail: dar_honin@yahoo.com



دولة الكويت
حولي-شارع بيروت - عمارة الأطباء
هاتف: 1985 264 فاكس: 7784 264 965+
ص.ب: 4848 الصفاة-الرمز البريدي 13049

دولة الإمارات العربية المتحدة
العين: - ص.ب 16431 هاتف: 7662189 فاكس: 7657901 3 971+
دبي: - ص.ب: 20438 هاتف: 2630618 فاكس: 2630628 4 971+

جمهورية مصر العربية
37 شارع النصر - امتداد رمسيس 2 - مقابل وزارة المالية ومصلحة الجمارك
مدينة نصر - القاهرة - تلفاكس 8143 262 202+
www.alfalahbookshop.com

